التصوّر المجتمعي لمحاولة انقلاب 15 تموز في تركيا[1]

نبي ميش *

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى قياس التصور المجتمعي لمحاولة الانقلاب التي نفّذها تنظيم غولن في 15 تموز، حيث شهدت تركيا محاولة انقلاب عسكري في 15 يوليو، بعد عمليات من التغلغل داخل مؤسسات الدولة، وقد أكّد موقف الشعب الصامد وشجاعته خلال المحاولة صعوبة تنفيذ أو نجاح أيّ محاولات انقلابية؛ حيث برزت المقاومة الشعبية الباسلة ضد الانقلابيين فيما يُسمَّى "رِباط الديمقراطية"، واستمرت مدة 27 يومًا. يعرض هذا العمل نتائج مقابلات أجريت مع 176 شخصًا في 12 ساحة عامة في 9 مدن، لتحديد رموز الوعي الاجتماعي الذي وضعه المجتمع تجاه محاولة الانقلاب، وأساليب مكافحته، وقضايا مماثلة من خلال معرفة كيف ينظر المجتمع إلى محاولة الانقلاب.

* جامعة سقاريا، تركيا

Social Perception of 15th July Coup Attempt in Turkey

Nebi Miş*

ABSTRACT This work aims to measure social perception towards the consequences of coup attempt designated by FETÖ on the evening of July 15th. Turkey witnessed a military coup attempt, when a period of normalization assured people of impossibility of any further coup attempts. However, FETÖ member putschists, who have gradually infiltrated the crucial public position, attempted a coup against the government. People's courageous resistance against the putschists was transformed into 'democracy watch' and lasted for 27 days. This work presents the results of interviews conducted with 176 people at 12 public squares in 9 cities. The codes of social consciousness developed by society towards coup attempt, putchists and the methods of combating with them and similar issues are identified through how society perceives the coup attempt.

*Sakarya University, Turkey

رؤية تركية
2016 - (5/3)
80 - 45

المدخل

أول انقلاب عسكري في تاريخ الجمهورية التركية، حدث في 27 مارس/ آذار عام 1960، عقب الانتقال إلى النظام الديمقراطي في البلاد، أعقبته محاولات انقلاب جديدة استهدفت المجال المدني السياسي، على مدى كل 10 سنوات وسطيًّا. مذكرة 12 آذار/ مارس 1971، والانقلاب العسكري الدموي في 12 أيلول/ سبتمبر 1980، وانقلاب ما بعد الحداثة في 28 شباط/ فبراير 1997، والمذكرة الإلكترونية في 27 نيسان/ أبريل -2007 هي المحاولات الأخرى التي سعت لجعل الساحة السياسية تخضع للوصاية، وإلى استمرار العقلية الانقلابية بمظاهر جديدة.

عند مراعاة التطور السياسي والاقتصادي لتركيا وجهودها نحو تحقيق الديمقراطية، نرى أن نضالها ومواجهتها ضد العقلية الانقلابية والكيانات المشابهة لها، بدأت في وقت متأخر، مقارنة مع الوضع في الدول المشابهة لها.

مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، بدأت مرحلة جديدة من المواجهة والنضال ضد نظام الوصاية في تركيا، لكن رغم إنهاء العديد من وسائط الوصاية، فإن النخبة العسكرية التابعة لمنظمة فتح الله غولن الإرهابية المتغلغلة داخل الجيش منذ أكثر من 4 أعوام- قامت بمحاولة انقلاب في 15 تموز 2016.

المحاولة الانقلابية التي نفذتها مجموعة مختلفة من حيث هيكلية نخبتها العسكرية وأيديولوجيتها عن الانقلابات العسكرية السابقة- كانت مخططة على شكل تمرد عسكري. ولكي تحقّق أهدافها قتلت أفراد الشعب بالطرق الإرهابية من خلال القصف بالأسلحة الثقيلة عبر طائرات إف 16 والمروحيات والدبابات، إضافة إلى ذلك قصفت المراكز الإستراتيجية للدولة كمجلس الأمة الكبير (البرلمان)، والمجمع الرئاسي، وجهاز الاستخبارات، ومباني مديريات الأمن، إضافة إلى عدد من مؤسسات الدولة. ولم يكتف الانقلابيون بكل هذا، بل حاولوا من خلال فريق من القوات الخاصة اغتيال رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان. التخطيط لهذه المحاولة الانقلابية، التي جرت من دون الرجوع إلى الهرم القيادي في الجيش، كان من قبل منظمة خارج الجيش، تنتهج مفهومًا دينيًّا محرفًا. لذلك فإن دوافع المحاولة الانقلابية هذه، والتخطيط لها وتنفيذها وهدفها مختلفة عن سابقاتها.

بعد التأكد من أن النخبة العسكرية التي تفتقر إلى القاعدة الشعبية، تنفّذ محاولة انقلابية، دعا الرئيس أردوغان الحكومة وقادة الأحزاب السياسية والشعب إلى مواجهة الانقلابيين، فباءت المحاولة الانقلابية بالفشل من خلال المقاومة الشعبية، والمواقف الصامدة للأحزاب السياسية، والإعلام، ومنظمات المجتمع المدني، لكن هذا المحاولة الانقلابية التي تُعَدّ الأكثر دموية من بين الانقلابات التي عاشتها تركيا، إذ أدّت إلى استشهاد 240 شخصًا، وجرح 2195 آخرين. المقاومة الأسطورية للمجتمع التركي

ضـد الانقلابيـين ليلـة المحاولة الانقلابية، اسـتمرت في الأيـام التالية، بعـد أن تحولت إلى مظاهـرات (صَـوْن الديمقراطيـة)، وعـبّر الآلاف من النـاس من خلال نزولهم كل مسـاء إلى شـوارع جميع المـدن التركية وميادينها- عن رفضهم للانقلابيين، واسـتمرت مظاهرات (صـون الديمقراطيـة) 27 يومًـا، حيـث انتهـت في 10 آب/ أغسـطس.

يمكـن عـدُّ الأحداث التـي تلت ليلة 15 من تموز، أنها تشـكل نقطـة تحوّل لا في تاريخ تركيـا فقـط بل في تاريخ الديمقراطيـة العالمية. من غير الممكن إيجاد مثيل للنضال السـلمي الـذي واجهـت فيـه الإرادة المدنيـة القوى العسـكرية المسـلحة، خـلال فـترة الانقلابات العسـكرية.

لذلك من المهمّ وضع آراء المبادرة المدنية وإدراكاتها، التي خرجت للتظاهر ضدَّ محاولة انقلاب 15 تموز- ضد أيّ محاولة انقلابية أخرى،. ولا شـك أن الوضع الاجتماعي الذي ظهـر في ليلة 15 تموز وما بعدها يسـتحق اهتمامًا اجتماعيًّـا أكبر مما يمكن حصره بالعلاقات المدنية-العسـكرية.

وفي هـذا الإطار، هناك حاجـة لتعريفات واصطلاحات جديدة، وقد أُنجِز هذا البحث من أجل قراءة الانتفاضة الشـعبية ضد الانقلابيين في 15 تموز وما بعدها بشَـكل صحيح. ولدعـم ذلـك بالبيانات الأولية جرت محاورة 176 شـخصًا في 12 ميدانًا بـ9 مدن تركية، منـذ 18 تموز وحتى 10 آب. الموضوع الأسـاسي للبحث هو الوعـي المجتمعي الذي أدّى إلى إحبـاط محاولـة الانقلاب، ومما لا شـّك فيـه أن مظاهرات (صـون الديمقراطية) كانت أبرز انعكاسـات هذا الوعي.

أريـد من هذا البحث، الكشـف عن رمـوز الوعي الذي طوّره المجتمع بشـأن المحاولة الانقلابية في إطار الحديث الذي أُجري مع المشـاركين في المظاهرات، من خلال كيفية فهم المجتمـع للمحاولة الانقلابية، لكن قَبـل تفصيل النتائج التي أدت إليها المحاولة الانقلابية

في الإدراك الشعبي لا بد من التطرق باختصار إلى المنظمة التي قامت بمحاولة الانقلاب والمسيرة التي أفضت إلى الانقلاب.

تشكل منظمة (غولن) الإرهابية داخل الدولة، والهيكل التنظيمي لمحاولة انقلاب 15 تموز

شهدت تركيا ليلة الجمعة 15 تموز، محاولة انقلاب نفّذتها منظمة فتح الله غولن الإرهابية المتغلغلة داخل القوات المسلحة منذ فترة طويلة، هذه المحاولة الانقلابية التي نظمها عناصر المنظمة المذكورة، والمتغلغلة داخل العديد من المؤسسات الإستراتيجية للدولة وعلى رأسها القوات المسلحة- كانت الأكثر دموية في تاريخ الانقلابات التي شهدتها تركيا. قامت هذه المنظمة المتغلغلة ضمن خطة بعيدة المدى داخل الجيش، وبتحفيز من تعاليم النبوءات المسيانية لفتح الله غولن- بمحاولتها الانقلابية الأخيرة، من خلال اتباع الأساليب التي اتبعتها الطغمة العسكرية في المحاولات الانقلابية السابقة، إلا أن الأحداث التي شهدتها 15 تموز لم تكن محاولة انقلابية فقط، بل كانت إلى جانب ذلك حركة تمرد ضد الدولة من خلال استخدام الأساليب الإرهابية.

انتقل زعيم الكيان الموازي فتح الله غولن عام 1999 إلى الولايات المتحدة الأمريكية، في نفس العام الذي أُلقي فيه القبض على زعيم منظمة (بي كا كا) الإرهابية عبد الله أوجلان.

نوايا فتح الله غولن بالسعي منذ أن تولّى منصب كبير الواعظين في ولاية إزمير قبل أكثر من 40 عامًا، عبر التنظيم على شكل جماعة دينية، من أجل السيطرة على مقاليد الحكم في تركيا- انكشفت مؤخرًا. كما بدا واضحًا ليلة 15 تموز، أنه يعتمد بالدرجة الأولى على القوات المسلحة في تحقيق هذا الهدف. وكان موقع منظمة غولن التي تحولت من كونها (جماعة) إلى منظمة إرهابية- مختلفًا تمامًا عن بقية الحركات الإسلامية في تركيا. مع مرور الزمن، أصبح لدى هذه المنظمة التي أبقت على موضوعات البنية الهيكلية، والعمل التنظيمي، والتضحية بحياة الآخرين من أجل غاياتها التنظيمية في أجندة متابعيه- موارد بشرية كبيرة، وعلاقات اجتماعية واسعة، وقوة مالية[2].

بدأت منظمة غولن بعد عام 1971، بالعمل على التنظيم المؤسساتي، وبخاصة من خلال المؤسسات التعليمية، ومنظمات المجتمع المدني. وقد عارضت هذه المنظمة حركة ميللي غوروش (الرأي الوطني) التي صعدت 1970 بقيادة نجم الدين أربكان، إلا أنه رغم دعمها السياسي لحزب العدالة والتنمية الحاكم فإنها وقفت إلى جانب الانقلابيين عقب انقلاب 1980، وزعيمها غولن دعم في كتاباته الانقلابيين[3]. ومن خلال هذا الدعم فإن منظمة غولن بعد 1980 نالت دعم الأطراف العلمانية، التي رأت في هذه المنظمة حركة (إسلامية معتدلة) بديلة عن (الرأي الوطني)[4].

بـدأت المنظمة عـام 1997 بالتواصل مـع ممثلي الكنائس، تحت اسـم (حوار الأديان)، وقـد حصل فتح الله غولن عـلى دعم من بعض الأطراف في تركيا ومن الغرب، ضد حزب الرفـاه بعـد تصاعد الحـزب والإسـلاميين في الانتخابـات البرلمانية عـام 1997[5]. طرح غولن ومنظمته فكر (الإسـلام المعتدل) بديلًا عن المفاهيم الإسـلامية المحلية التي طرحها أربكان والإسـلاميون، وكشـف عن هدفه الحقيقي من خلال القول في كل فرصة سـنحت لـه إنـه لا يعـادي الكمالية- العلمانيـة في تركيا[6]. وفي مرحلة 28 شـباط، اتّخـذ موقفًا مماثلًا للـذي اتخـذه في انقلاب 1980، حيث أعلن بشـكل صريـح دعمه للانقلابيـين[7]. وأظهر ولاءه لانقلابيـي مـا بعـد الحداثة، حين قال في تلك الفترة إنه مسـتعدّ لجعـل المدارس التي يمتلكهـا تحت تصرف الدولة[8]. وقد انتقل زعيم الكيان الموازي فتح الله غولن عام 1999 إلى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، في نفس العام الـذي أُلقِي فيه القبض عـلى زعيم منظمة (بي كا كا) الإرهابيـة عبـد الله أوجـلان.

عقـب المذكـرة الإلكترونية التي نشرتها القوات المسـلحة التركية في 27 أبريل/ نيسـان 2007، ومحـاولات إغـلاق حـزب العدالة والتنميـة في 14 مـارس/ آذار -2008 تمكّن أتبـاع فتـح الله غولن، الذين أظهروا أنفسـهم داعمـين لكفاح الدولة ضد نظـام الوصاية، مـن التغلغـل إلى المؤسسـات الإسـتراتيجية، غالبًـا مـن خـلال سرقـة أسـئلة الامتحانات -اتضـح ذلك لاحقًا- في هذه الفترة، عزّزوا وجودهم في الأمن والجيش والقضاء بشـكل منظّـم. وتلاعبـوا بسياسـة حكومـة العدالـة والتنميـة في كفاحهـا ضد الوصايـة[9]. في هذا السـياق، اسـتغلّوا قضيتـي (المطرقـة) و(أرغنكون)؛ لتحقيـق غاياتهم الشـخصية، وفق ما اتضـح لاحقًا. إضافة إلى ذلك، حوّلوا كيانهـم المتغلغل في جهازَي القضاء والأمن إلى أداة لاعتقال آلاف الأشـخاص من خلال إبدائهم المقاومة أمام حلّ المسـألة الكردية. وحاولوا اعتقال رئيس جهاز الاسـتخبارات لمواجهتهم مشكلات بالتغلغل في الاستخبارات. وبعد حصولهـم على الوضع الذي يريدونه داخل الجيش من خـلال قضيتي المطرقة وأرغنكون- نفّـذوا محاولة انقلاب ضـد حكومة العدالة والتنمية في الفترة التـي تعرف بعملية 17-25 ديسـمبر/ كانون الأول (2013). في ذات الوقت، جرى تنفيذ هذه المحاولة وفقًا لهدفهم في تصميـم حقـل سـياسي جديد عبر كيانهـم البيروقراطـي، وتصفية كوادر حـزب العدالة والتنمية من الحقل السـياسي[10]. وأخيرًا تحولت المنظمة التي بدأت في أنشـطتها جماعة دينية إلى كيـان استخباري، وعـدلي، وعملياتي، وذلـك كلّـما تعـززت قوتهـا[11].

أظهـرت محاولـة انقـلاب 15 تمـوز أن المنظمـة تمتلك قـوة عملياتيـة، وتنظيـماً أكبر من المتوقـع، ولاسـيّما داخـل القـوات المسـلحة التركيـة، إلى جانـب مؤسسـات الدولـة التـي تغلغلـت فيهـا، وفي مقدمتهـا سـلكا القضـاء والأمـن.

وتشـكّل (مذكـرة الادعاء الرئيسـة[12] للكيـان الموازي) التـي أعدّتها النيابـات العامة، ومذكّـرة "منظّمـة فتـح الله غولن الإرهابيـة/ منظمة الكيـان الموازي" التـي أعدّتها محكمة

الجنايات الثانية بإزمير – نقطة تحوّل في تسليط الضوء على الطريق المؤدّي إلى المحاولة الانقلابية في 15 تموز[13].

إن مذكّرات الادّعاء تلك لها أهمية من حيث إظهارها بشكل واضح هدف المنظمة، وتنظيماتها، وطرق تسلّلها إلى مؤسسات الدولة. وفي هذا السياق أظهرت المذكرة بأن هدف التنظيم "...الاستيلاء على مؤسسات الدولة، وتخريب النظام الدستوري، وإنشاء نظام دولة سلطوي، واستبدادي (يستند إلى حكم أقلية الجماعة)، وارتكاب جرائم تصل إلى محاولة الانقلاب على الحكومة..."[14].

أسهم إعداد هاتين المذكرتين في كشف عناصر المنظمة المذكورة ضمن مؤسّسات الدولة، وبخاصة في المؤسسة العسكرية، وإخراجهم من السلك العسكري، مما سرّع في المحاولة الانقلابية[15]، ومن ثمّ فإنهما تُعدّان عاملَين مهمّين في التأثير في التوقيت الزمني للمحاولة الانقلابية[16].

إن تنفيذ هذه المحاولة في شهر تموز يُعدّ مؤشرًا بارزًا على ما ذكرناه. لأنه كان سيُخرَج عناصر المنظمة من المؤسسة العسكرية خلال اجتماع مجلس الشورى العسكري الذي كان سيُعقَد خلال شهر أغسطس/ آب[17].

ومن جهة أخرى أعلن مجلس الأمة الكبير (البرلمان) في الأول من تموز 2016، قبول قانون يتضمن تعديلات في مجلس القضاء العالي، وكانت هذه خطوة نحو تطهير سلك القضاء من عناصر منظمة فتح الله غولن الإرهابية[18].

منهج البحث: إطاره وقيوده

اخترنا في البحث المدن التي نرى أنها تمثل تركيا قاطبة، وهي: أنقرة، وإسطنبول، وإزمير، وديار بكر، وطرابزون، وأضنة، ووان، وسقاريا وأسكي شهير.

توخينا في أثناء اختيارنا للمدن المذكورة أن تكون من أكثر المناطق التي شعرت بعنف الانقلابين ليلة المحاولة الانقلابية، وشهدت كثافة خروج كبيرة للشعب إلى الشوارع والساحات، وبنفس الوقت مراعاة التوزع الجغرافي.

اتبعنا في البحث منهج جمع معلومات نوعية، من خلال جمع معلومات قابلة للرصد والملاحظة بشكل مباشر، لدراسة العلاقة بين هذه المعلومات وبين السياق الاجتماعي بشكل أدقّ وأوضح[19].

قابلنا ضمن إطار البحث 176 مشاركًا من مختلف أطياف العمر، ولكون الموضوعات السياسية هي الغالبة في البحث، حاولنا مراعاة أن تكون الفئات المشاركة ممن أعمارهم فوق الثامنة عشر، إلا أنه ولضمّ آراء من دون هذه الأعمار، أجرينا لقاءات محدودة مع الشباب ممن أعمارهم بين 15–18. وكما أنه لم تطلب أيّ معلومات من المشاركين حول

انتماءاتهم وهوياتهم، كذلك لم يُذكر اسم أيّ مشارك خلال نص البحث، ورمزنا إلى المدن والميادين التي أجريت فيها اللقاءات كما في الجدول 1.

الاختصار	اسم المدينة	الاختصار	اسم المدينة
ANK	أنقرة	SRC	سراج خانة
ADN	أضنة	TRB	طرابزون
İZM	إزمير	TKS	تقسيم
KSK	قسقلي	VAN	وان
ESK	أسكي شهير	DYB	ديار بكر
SAK	ساقاريا	YNKP	يني قابي

الجدول 1 : رموز المدن والساحات التي أجريت فيها اللقاءات

وعند نقل أقوال المشاركين وإفاداتهم، رمزنا إلى كل منها برقم معين، حيث استخدمنا تسمية تتكون من اسم مدينة المشارك، والرمز المخصص له. وقد بيّنا عملية الترميز هذه في الشكل 1.

اسم المدينة– الميدان	رمز المشارك	الجنس	العمر
أنقرة	14	أنثى	25

الشكل 1. ترميز اللقاءات

غلب على هذه اللقاءات نمط اللقاء الفردي وجهًا لوجه، وبعدد محدود نمط اللقاء الجماعي، واستمر اللقاء مع كل مشارك حوالي 25–30 دقيقة.

كما حرصنا على توزيع الفئات العمرية والجنسية للمشاركين في (حصص نسبية) بغية وصول البحث إلى نتائج سليمة، أما بالنسبة لنمط اختيار المشاركين فقد عملنا على أن يكونوا يمثلون جميع الأطياف الاجتماعية، مع انتماءاتهم السياسية المختلفة.

نمط اللقاء كان على شكل توجيه أسئلة بلغت في المجموع تسعة عشر سؤالًا، أُعِدّت هذه الأسئلة تحت عناوين معينة بغية قياس وجهات النظر حولها، وهي: (دوافع خروجهم إلى الشارع ليلة المحاولة الانقلابية)، و(التجارب التي عاشوها وهم في الخارج تلك الليلة)، و(المدة التي بقوا فيها في الخارج)، و(فشل المحاولة الانقلابية)، و(العلاقة بين منظمة فتح الله غولن الإرهابية والقوى الخارجية)، و(كفاح السلطة السياسية عقب المحاولة الانقلابية)،

و(موقف أحزاب المعارضة تجاه المحاولة الانقلابية)، و(دور منظّمة فتح الله غولن الإرهابية في المحاولة الانقلابية)، و(وجهة النظر تجاه منظمة فتح الله غولن الإرهابية قبل المحاولة الانقلابية)، و(وجهة النظر تجاه الجيش التركي وقوات الأمن)، و(المقارنة مع الانقلابات السابقة)، و(النضال ضد منظمة فتح الله غولن الإرهابية عقب المحاولة الانقلابية وكذلك العناصر الأخرى التي أدّت دورًا فيها)، و(الأحداث التي كانت ستحصل في حال نجحت المحاولة الانقلابية)، إلى جانب أسئلة أخرى، مثل ديموغرافية المشاركين، وخلفياتهم التعليمية، وحالاتهم الوظيفية، وانتماءاتهم السياسية.

وبسبب إجراء اللقاءات في فترة كانت آثار المحاولة الانقلابية وصدماتها لمّا تندثر، ولاتزال خطورتها قائمة، فإن هذا الأمر تسبب في تردد بعض المشاركين.

وشوهد خلال اللقاءات أن النساء كن أكثر ترددًا، بينما الرجال كانوا أكثر جرأة وراحة في إجراء اللقاء. من بين القيود الأخرى التي واجهتنا أيضًا هو على الرغم من محاولتنا اختيار المشاركين بشكل متوازن من أصحاب الخلفيات الاجتماعية المتنوعة، إلا أننا لاقينا صعوبات في ذلك.

أعلن مجلس الأمة الكبير(البرلمان) في الأول من تموز 2016، قبول قانون يتضمن تعديلات في مجلس القضاء العالي، وكانت هذه خطوة نحو تطهير سلك القضاء من عناصر منظمة فتح الله غولن الإرهابية.

لأن ساحات (صَوْن الديمقراطية) كانت تغلب عليها النخبة المحافظة والقومية من المواطنين. وعلى الرغم من هذا فإننا حاولنا اللقاء بأكبر عدد ممكن من المشاركين في مهرجان حزب الشعب الجمهوري بميدان تقسيم، إضافة إلى اللقاء مع أكبر عدد ممكن من التوجهات المختلفة، في مهرجان (ينيِ قابي) الذي شارك فيه زعماء أحزاب المعارضة، ومن ثَمّ مشاركة ناخبي تلك الأحزاب في هذا المهرجان أيضًا.

ومن جهة أخرى أجرينا لقاءات في المقاهي والأزقّة في كلّ من مدينتي (وان) و(ديار بكر)، إضافة إلى الذين التقيناهم في ساحات (صون الديمقراطية).

الحافز الذي أخرج الناس إلى الساحات ليلة 15 يوليو/تموز

أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في إحباط المحاولة الانقلابية ليلة 15 تموز، هو خروج الشعب إلى الساحات والشوارع، ومقاومتهم الانقلابيين، ومن ثَمّ فإن السؤال عن حافز هذا الكفاح يكون في غاية الأهمية.

عاش الناس حالة من الفوضى الذهنية ليلة الخامس عشر من تموز، منذ الساعة الثامنة مساءً التي بدأت فيها التحركات المريبة للانقلابيين، وبخاصة الذين يقطنون في أنقرة، إذ لم يجدوا تفسيرًا في الوهلة الأولى للتحليق المنخفض للطائرات الحربية، أما إغلاق الجسور في إسطنبول فجعل سكانها يظنون بأنّ هناك هجومًا إرهابيًّا.

العديـد من الناس ظنوا أن البلاد قـد تعرضت لهجوم من قبل دولة أخرى، ولم تخطر فكرة حدوث انقلاب ببال أحد إلا القلة القليلة منهم. هذا ما شاهدناه من خلال آراء المشاركين.

يذكـر لنا في منطقة "قزيلاي" بالعاصمة أنقرة أحد سـائقي سـيارات الأجرة، الذي شـهد الأحداث منذ بدايتها قائلًا:

"في الساعة الثامنة والنصف مساءً بدأ التحليق الطيراني، حينها قلت لابدّ أنّ هناك خَطْبًا مـا. وإن كانـت هنـاك احتفالية أو عيـد وطني مـا، لحلّقت طائرات الاسـتعراض فقـط، ماذا تفعـل الطائـرات الحربيـة هنا؟ (...) قلت لا شـك أنّ جنودنا يذهبون لتنفيـذ هجوم في مكان مـا، ولم تخطـر ببالي احتمالية حـدوث انقلاب قطّ. هـذا وعلى الرغم من أنني شـهدت انقلاب (كنعان أفرن) وثلاثة انقلابات. لم أشهد مثل هذا الحدث من قبل، فعمري اثنان وثمانون عامًا" (أنقرة21-).

بعـد حالـة التردّد القصـيرة ومعرفة النـاس نتيجة الأخبـار المتوالية عبر الإعلام ووسـائل التواصـل الاجتماعـي أن الحـدث عبـارة عـن محاولـة انقلابيـة، هُـرِع الشـعب إلى الشـوارع والساحات.

ومـن الواضـح أنّ الحالـة الروحيـة للأنـاس المتوجهـين إلى الخارج تلـك الليلـة تمثّلت في الغضب، والخوف، والحماسة، والثقة، والغموض. أما في الساعات المتقدمة من الليل فشعروا بالارتياح، وزادت ثقتهم بأنفسهم عند رؤية نجاح المقاومة والكفاح ضد العناصر الانقلابية.

وقد خرج ثلاثة أرباع من المشـاركين الذين التقينا بهم إلى الشـوارع ليلة 15 تموز؛ لإظهار ردّة فعـل ضـدّ الانقلاب. وعند النظر إلى مسـوِّغ الخروج فإن أكثـر المصطلحات المذكورة من قبل المشاركين هي: الوطن، والبلد، والأمة، والحرية، و(شعور الوحدة والمساواة)، و(مناصرة الحكومة المنتخبة والرئيس أردوغان).

ومـن خـلال الآراء التي حصلنـا عليها نرى أن هناك أربع حوادث أثّرت في قرار الشـعب بالخروج تلك الليلة، هي:

- حبّ الوطن والشعب.
- دعوة أردوغان الشعب إلى الخروج إلى الشوارع من خلال البثّ الحيّ.
- ارتفاع أصوات الأذان والصلوات من المآذن
- تلاوة البيان الانقلابي على القناة الرسمية التركية، (معاداة الانقلاب والذاكرة).

وفي السـاعات المتقدمة من تلك الليلة وبعـد أن اتضح أن الحدث الجاري هو انقلاب، زاد حافز الخروج لدى الناس، وتكثفت فكرة المقاومة عندهم:

"عندمـا رأينـا إغلاق جسر البوسـفور من على شاشـة التلفـاز أدركنا أنها ليسـت عملية إرهابية. خرجنا من منزلنا في باهشـلي أفلار، وتوجهنا إلى مركز الشرطة بقوجا سـنان، وعندما

رأينا حالة الهدوء هناك ونتيجة للأخبار المتوالية- توجهنا من هناك إلى المطار، وأصبحنا وجهًا لوجه مع الدبابات. إن ما فعلوه بعدنان مندرس وتورغوت أوزال من قبل، يعلمه الجميع، ونحن أردنا أن نقف إلى جانب الرئيس، وشاهدت كيف انفجر الغضب لدى الشعب، حيث كانت جميع أطيافه هناك. (سراج خانة01-، ذكر، 26).

"الشعور بالظلم، والقلق تجاه المستقبل، والذكرى المريرة لانقلاب عام 1980، ومعاداة الانقلاب... قبل أن تحدث هذه الأحداث كنا قد تحدثنا أنا وزوجتي، وقطعنا عهدًا على أنفسنا أن نقاوم سويًّا ضد الانقلاب، وعند حدوث المحاولة الانقلابية خرجنا بدون تردد إلى الشارع قبل نداء أردوغان بالخروج" (قسقلي01-، ذكر، 56).

"جئت إلى هنا وأنا على استعداد لفداء روحي، فالمسألة ليست مسألة حزبية، مشكلتي أنا مع هذا الوضع، لم أسمع بنداء أردوغان، بل خرجت فور سماعي خبر الحدث في الساعة العاشرة ليلًا. وعلمت من القنوات الإخبارية أنها محاولة انقلابية، وأن أخي الكبير توجه إلى الميدان، وأنا بدوري أخبرت زملائي، وحملت علَمي متوجّهًا إلى هناك أيضًا" (طرابزون01-، أنثى، 29).

"خرجت إلى الشارع حوالي الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل، أستطيع التعبير بكلمة واحدة هي 'حب الوطن'. رجاء بيّنوا هذا بشكل خاصّ" (أنقرة02-، أنثى، 31).

يذكر لنا بعض المشاركين ممن خرجوا إلى الميادين في الليلة الأولى أنهم خرجوا بتأثير النكسات السياسية والاجتماعية التي خلفتها الانقلابات السابقة، هذا التأثير كان حاضرًا إلى درجة أن أجبرهم على الخروج كي لا يسمحوا بتكرارها مرة أخرى. يعبّر عن هذا عامل معجّنات في إزمير عمره 26 عامًا، قائلًا:

"أنا حفيد لجدّ موالٍ لحزب الديمقراطية. وكان هو رئيس الحزب لدى ولاية إزمير، كان يقول لي فيما مضى أن مندرس قال: 'أنا أثق بشعبي' إلا أن هذا الشعب لم يفعل شيئًا لأجله، وعندما تذكرت حينها ما تعرّض له مندرس، من تعذيب وإطفاء السجائر على جسده، وما قاله لي جدي، قررت الخروج إلى الميدان. طلبت مني ابنتي في السادسة عشرة من عمرها ألا أخرج، إلا أنّي قلت لها سأخرج كي لا أندم مستقبلًا. كنت مترددًا ولكن عند سماعي دعوة الرئيس أردوغان خرجت فورًا" (أنقرة12-، أنثى، 50).

على الرغم من خروج معظم الشعب إلى الميادين ليلة المحاولة الانقلابية، إلا أنّ بعضهم فضّل البقاء في منازلهم. ويبيّن الذين لم يخرجوا في الليلة الأولى أنه كان هناك سببان رئيسان تحول دون الخروج، هما: 'الخوف' و'الفوضى الذهنية'.

إلا أنه في الأيام التالية، وبعد وضوح ماهية الأمر، خرجوا واشتركوا في مظاهرات (صَوْن الحرية). تذكر لنا شابة من إسطنبول، بعد أن عرّفت بنفسها أنها من مواليي حزب الشعب الجمهوري، سبب عدم خروجها قائلة:

"لم نستطع الخروج تلك الليلة إلى الميادين إلا أنه مثلما خرج أصدقاء لنا موالون للحكومة، كان هناك أصدقاء غير موالين قد خرجوا أيضًا. لدي العديد من الأصدقاء الموالين وغير الموالين للحكومة إلا أن هذا الحدث ليس أمرًا متعلقًا بالحزب وبالسياسة. فالناس قد خرجوا من أجل الوطن والعلَم" (تقسيم01-).

باختصار يمكن جمع دوافع الذين خرجوا إلى الميادين ليلة المحاولة الانقلابية، وإن تعددت هذه الدوافع، تحت أربعة عناوين. من الواضح أن الأول لدى هؤلاء هو حب الوطن والرغبة في حماية الديمقراطية ومقاومة المحاولة الانقلابية، والحافز الثاني هو تلاوة بيان الانقلاب على القناة الرسمية التركية.

ومن أهم مسوِّغات الذين خرجوا إلى الميادين بحافز مقاومة الانقلاب، الآثار الحية للانقلابات السابقة في الذاكرة الاجتماعية. ويمكننا افتراض أن هؤلاء المشاركين تفوق أعمارهم40 عامًا، وأنهم شهدوا على الأقل انقلاب الثاني عشر من سبتمبر/ أيلول عام 1980، أما القسم الآخر من المشاركين فقد خرجوا إلى الميادين بحافز ما كان يحكيه لهم أجدادهم وكبار السنّ من ذكريات الانقلابات.

يذكر قسم كبير من المشاركين أن الحافز الأساسي لخروجهم هو المحادثة المرئية الحيّة التي أجراها الرئيس أردوغان من خلال اتصاله بالقناة التلفزيونية ودعوته الشعب للخروج إلى الميادين.

ويجب ذكر أن أغلبية الذين خرجوا إلى الميادين استجابة لدعوة أردوغان كانوا من فئة اليمين المحافظ، وكان قليل منهم من أصحاب الفكر اليساري. وأخيرًا ومن الأسباب التي دفعت الناس إلى النزول إلى الشوارع ارتفاع أصوات الأذان والصلوات من مآذن المساجد.

بينما يذكر لنا بعض الذين لم يخرجوا في الليلة الأولى سواء عن وعي، أو نتيجة الخوف والغموض، يذكر قسم كبير أنهم لم يكونوا في وضع يستطيعون الخروج في تلك الليلة.

ويمكن تفسير عدم خروج أغلب من كانوا في أماكن قضاء العطل في أنحاء البلاد في أثناء حدوث المحاولة الانقلابية، بعدم وجود أيّ تحركات مشابهة في الأماكن التي تواجدوا فيها، وعدم خروج الناس هناك.

أما الذين لم يخرجوا إلى الميادين في تلك الليلة ولم يذكروا أسبابًا لذلك، فأغلبهم من أتباع حزب الشعب الجمهوري، أو من أصحاب الفكر اليساري بشكل عام.

الإدراك المجتمعي تجاه الانقلابيين

من بين الأسئلة المهمّة التي وجّهناها للمشاركين في أثناء اللقاءات السؤال عن هوية منفذي المحاولة الانقلابية.

إذا نظرنا إلى الأجوبة التي تلقيناها في هذا الإطار نرى أن الأغلبية المطلقة من المشاركين على قناعة أن من قام بالمحاولة الانقلابية منظمة فتح الله غولن الإرهابية.

كما أن الأغلبية منهم يرون أيضًا أن القوى الخارجية كانت الجهة الداعمة لهذه المنظمة في محاولتها هذه، لأن محاولة انقلابية كهذه من الصعب تحقيقها من دون مساندة خارجية.

ومن الواضح أن المشاركين الذين يرون أن منظمة غولن هي وراء الانقلاب، لديهم آراء مختلفة حول دور هذه المنظمة في المحاولة الانقلابية. الذين يرون أن المنظمة المذكورة هي العنصر الأساسي في محاولة الانقلاب يستدلون على كلامهم هذا بتكتل اتباع غولن ضمن مؤسسات الدولة طوال مدة نصف قرن.

حيث يطرح أحد المشاركين من ساقاريا مسألة هيكلة أتباع غولن ضمن المؤسسة العسكرية خاصة، ويذكر بشكل قطعي قيام هذه المنظمة بالمحاولة الانقلابية قائلًا: "أرى أن منظمة فتح الله غولن الإرهابية بوصفها منظمة التي تكتّلت وبنت لها هيكلية ضمن الجيش التركي، هي الفاعل الأساسي في تنظيم هذه الأحداث والقيام بها" (ساقاريا09-، ذكر، 25).

أما ذاك المشارك من إزمير البالغ من العمر 26 عامًا، فيتطرق إلى أن هذا التنظيم لم يكتف بالهيكلة ضمن الجيش فحسب، بل فعل ذلك في جميع مؤسسات الدولة، وأن مؤسساته التعليمية أدّت دورًا كبيرًا في هذه المرحلة:

"إن غولن أنشأ تلامذة، وكان بإمكانه القيام بانقلاب على المؤسسة العسكرية والمؤسسات الحكومية بفعل هؤلاء، ولا يزال يستمر في هذا الأمر" (إزمير-04).

أهم مسوّغات الذين خرجوا إلى الميادين بحافز مقاومة الانقلاب، الآثار الحية للانقلابات السابقة في الذاكرة الاجتماعية. ويمكننا افتراض أن هؤلاء المشاركين تفوق أعمارهم 40 عامًا، وأنهم شهدوا على الأقل انقلاب الثاني عشر من سبتمبر/أيلول عام 1980.

وتعبّر امرأة في الثالث والثلاثين من عمرها وتعمل مهندسة حواسيب، عن عدم اقتناعها سابقًا بوجود قوة لمنظمة غولن تمكنها تنفيذ انقلاب، وأنها اقتنعت بذلك بعد المحاولة الانقلابية في الخامس عشر من تموز، وترى أن هذه المنظمة وراء المحاولة الانقلابية، حيث تقول: "كانت لدينا شكوك حول هذا الأمر إلى أن وقعت المحاولة الانقلابية، وبعد هذه المحاولة بتنا ننظر وبشكل قطعي أن هذه المنظمة وراء المحاولة الانقلابية الأخيرة".

وهناك مشاركون آخرون يدافعون عن فكرة أن المنظمة كانت الشريك الأساسي في المحاولة الانقلابية إلا أنها تلقت الدعم والمساندة من عناصر أخرى مختلفة، حيث يرى أحد المشاركين في سراج خانة بإسطنبول، وهو متقاعد، وعمره اثنان وستون عامًا أن منظمة غولن هي المنفّذة الأساسية للعملية الانقلابية، وربما كانت العناصر الأخرى تقدّم المساندة لها، حيث يعبّر عن ذلك بقوله: "لا شك أن هناك عناصر آخرين. نعم، أفراد منظمة فتح الله غولن الإرهابية كان لهم دور رئيس بالدرجة الأولى، لكن برأيي أن عناصر آخرين قدموا لهم المساندة اللوجيستية، أما أتباع الكيان الموازي فهم من نفذوا المحاولة الانقلابية".

يرى أغلب المشاركين أن القوى الخارجية كان لها دور فعّال سواء في التخطيط أم التنظيم، أما القسم المتبقي من المشاركين فيرون أن القوى الخارجية وإن لم تسهم بشكل مباشر في المحاولة الانقلابية، إلا أنها ساندت الانقلابيين بشكل غير مباشر وبطريقة ما.

بعض المشاركين يستدلون على وقوف قوى خارجية وراء الانقلاب، بوجود فتح الله غولن في الولايات المتحدة، وآخرون بالخطاب المستخدم في الصحافة الخارجية، أما القسم الثالث فإنهم يستدلون بمواقف الدول الأجنبية تجاه تركيا كالإمارات العربية المتحدة.

وتطرح الأدلة حول مساندة هذه القوى لمحاولة الانقلاب التي حدثت في تركيا، مستندين في ذلك إلى مقترحات، مثل طبيعة الجغرافيا التي توجد ضمنها تركيا، والسياسة الخارجية، والنمو الاقتصادي لها... هذه الأمور أزعجت القوى الخارجية.

ويشير أغلب المشاركين ممن يرون وقوف قوى خارجية وراء المحاولة الانقلابية، إلى أن إحدى هذه القوى هي الولايات المتحدة الأمريكية، والقوة الخارجية الثانية التي يشيرون إليها بعد هذه الأخيرة هي أوروبا.

يشير أغلب المشاركين ممن يرون وقوف قوى خارجية وراء المحاولة الانقلابية، إلى أن إحدى هذه القوى هي الولايات المتحدة الأمريكية، والقوة الخارجية الثانية التي يشيرون إليها بعد هذه الأخيرة هي أوروبا.

وتطرّق عدد قليل من المشاركين إلى احتمالية أداء إسرائيل وروسيا وإيران أدوارًا في هذه المحاولة الفاشلة. ومن الأسباب الأساسية لرؤية المشاركين أن الولايات المتحدة هي التي تقف بشكل أكبر وراء الأحداث المذكورة- وجود زعيم التنظيم فتح الله غولن على أراضيها، ومن ثَمّ الإدراك الناتج عن هذا، وهو توفير تلك الدولة الحماية لهذا الشخص.

ومن جهة أخرى يرى متقاعد عمره 58 عامًا من مدينة وان، الذي كان يعتقد قبل المحاولة الانقلابية، أنّ ما يُقال عن هذه المنظمة مبالغ فيه، إلا أنه غيّر قناعته بعد رؤيته لهذه الأحداث، ويرى أن وجود فتح الله غولن في الولايات المتحدة الأمريكية دليل على تورطها في الوقوف خلف المحاولة الانقلابية الفاشلة.

ويعبّر أحد المشاركين -الذي يرى مساندة القوى الخارجية لمنظمة بي كا كا الإرهابية أيضًا- عن رأيه بقوله:

"قبل 15 تموز عندما كان يُقال إن منظمة غولن إرهابية كنت أرى الأمر مبالغًا فيه، لأنني لا أومن بنظريات المؤامرة، وكنت أصدّق هؤلاء في شبابي، إلا أن وجود هذا الشخص (فتح الله غولن) في الولايات المتحدة الأمريكية، يظهر وقوف هذه الدولة بالدرجة الأولى وراء هذه الأحداث. وقد ظهرت لنا صحة ما كان يقوله الرئيس أردوغان من أن الطبقة الدنيا من هذه الجماعة عبيد، والوسطى تجّار والعليا خونة، كما أني كنت أنظر إلى هذه المقولة على أنها مبالغ فيها أيضًا، وأنهم لا يمتلكون القوة للقيام بخيانة بهذا الحجم، إذن لا شك أن وراءهم قوة خارجية، كما الأمر في منظمة بي كا كا الإرهابية التي تدعي أنها حركة كردية، كذلك الأمر بالنسبة لهؤلاء، فإن هناك تأثيرًا خارجيًّا بنسبة 90٪" (وان09-).

ويشير بعض المشاركين ممن يرون وقوف الولايات المتحدة وراء المحاولة الانقلابية- إلى أن تحليق طائرات التزويد بالوقود الأمريكية المنطلقة من قاعدة إنجرليك في أضنة جنوبي تركيا، وتزويدها بالوقود الطائرات التي قصفت العديد من النقاط وتسببت في استشهاد العشرات من المدنيين ليلة المحاولة الانقلابية- دليلًا على قناعتهم هذه، حيث يتهم المشاركون الولايات المتحدة الأمريكية بمساندة المحاولة الانقلابية، مستدلّين بذلك على أنه من غير الممكن أن تحلق طائرات التزويد بالوقود من قاعدة إنجرليك الجوية والتي تُعَدّ أهم القواعد الأمريكية خارج أراضيها من دون إذن.

ويعبّر شاب من سراج خانة بإسطنبول وعمره 26 عامًا عن رأيه في أن منظمة فتح الله غولن الإرهابية هي الذراع التركية للانقلاب، بينما الذراع الخارجية هي الولايات المتحدة الأمريكية، ويقول: "هناك احتمال كبير حول وقوف الولايات المتحدة الأمريكية وراء المحاولة

الانقلابيـة. وإن منظمـة فتح الله غولـن الإرهابية هي النواة الداخلية ضمـن حلقة الانقلاب، بالتعـاون في ذلك مع الخونة في الداخل. حيث قدمت واشـنطن المسـاندة من قاعدة إنجرليك الجوية" (سراج خانة05-).

ومـن بين الادعاءات الأخرى التي ذكرها المشـاركون حول الولايات المتحدة الأمريكية- دعمهـا المحاولـة الانقلابية من خلال الجناح العسـكري لها في حلف شـمال الأطلسي (ناتو)، وهـو مـا أدى إلى فتح الطريق أمام شرخ داخل الجيش التركي بـين 'الموالين للناتو والآخرين'، وقد اسـتغلّت منظمة فتح الله غولن الإرهابية هذا الوضع، وعملت على ترسـيخه واسـتثماره لصالحها في أثناء المحاولة الانقلابية.

معيد جامعي عمره 25 عامًا في أنقرة، يقول إنه يتّبع أيديولوجية حزب السـعادة، يعبّر عن رأيه في هذا الخصوص بالكلمات الآتية:

"أرى أنـه كانت هناك مسـاندة جدية من قبل أمريـكا والناتو. وأن تحليق الطائرات التي زودت مقاتلات إف 16 من قاعدة إنجرليك الجوية أمر يدعم هذا الرأي" (أنقرة18-).

أما التاجرة التي التقينا بها في إزمير فترى أن الخبر الذي تداولته وسائل التواصل الاجتماعي كثـيرًا، والـذي كان مفـاده 'مقايضـة غولن بعبـدالله أوجلان'- تقـوي من ادعاءات مسـاندة واشنطن للمحاولة الفاشلة. حيث تقول:

"تصادفت فترة تسليم عبدالله أوجلان لنا نفس الفترة التي ذهب فيها فتح الله غولن إلى الولايـات المتحـدة. إن هذه الأخيرة تسـتغلّ غولن بعد أن اسـتغلّت واسـتخدمت الجميع في الشرق الأوسـط، ثم تخلّت عنهم. فهي ستستخدم غولن أيضًا لمصالحها الخاصة ثم تتخلى عنه كالبقية" (إزمير13-).

وشـوهد في أثنـاء اللقاءات أن من بين الأمور التي ذكرها المشـاركون بكثـرة المواقف التي اتخذتها الصحافة الأجنبية تجاه الانقلابات، سواء قبل أو بعد المحاولة الانقلابية.

فبينـما كان يرى بعض المشـاركين أن هذا الأمر ظاهرة تفضح مسـاندة الـرأي العام الغربي وحكوماتهـا للانقلاب، فإن أخريـن رأوا أن الكتابات والأكاذيب ضـد تركيا وحزب العدالة والتنميـة، قبـل المحاولة الفاشـلة كانت بمثابة تكتيك لشـحذ وتعويد الـرأي العام الغربي على الانقلاب.

تبيّنُ لنا طالبة دراسـات عليا في أنقرة عمرها 25عامًا وتعرف نفسـها أنها مقربة من 'حزب الشعوب الديمقراطية والتيار اليساري'، أنها كانت تنظر دومًا إلى منشورات الصحافة الأجنبية بشكّ:

"أرى أنـه لا شـك أن للغـرب والويـات المتحـدة الأمريكية أصابعَ في هـذا الحدث. الـذي كان يغضبنـي بالذات على الرغـم من كوني معارضة لحزب العدالـة والتنمية هو ما كان يُنشر في الصحافة الغربية بشـكل مسـتمر عن أن هناك دكتاتورية في تركيا. لم أكن أفهم ما يدور

في البداية؛ لأنه من غير الممكن في النتيجة ألا يكون لهم هَمّ غير تركيا، إلا أني أرى أن هذه التكتيكات كانت من أجل تدريب وتعويد الرأي العام الغربي على الانقلاب. كانت صحافتهم ستقول مثلًا، انظروا، إن تركيا كانت سلطوية بالأساس، وإن الانقلاب لم يكن أمرًا سلبيًّا في النتيجة. وعلى الرغم من أنه كان يجب على الغربيين أن يرفضوا الانقلاب كون تركيا مرشحة للانضمام إلى الاتحاد الأوربي وهي عضو في الناتو، إلا أنهم كانوا سيتقبلونه، ويقولون كانت دولة سلطوية ودكتاتورية بالأساس" (أنقرة14-).

ومن بين الأدلة التي أفادها المشاركون كذلك حول سبب مساندة القوى الخارجية للانقلاب- التغيّر الدائم في الموازين الدولية واستهداف القوى الدولية تركيا جرّاء التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط، وعرقلة طريق تركيا التي تقوم بحملات كبيرة للوصول إلى أهدافها في عام 2023، ولاسيّما أن تركيا سوف تتخلص بعد عام 2023 من بعض أزماتها ومشكلاتها بشكل كلّي؛ والأمنية الوحيدة للقوى التي تثير الفوضى في تركيا هي عرقلة إزالة هذه العوائق أمامها؛ لذلك يعملون على وضع جميع الصعوبات والعراقيل في الداخل وفي الخارج كي ينالوا مبتغاهم.

تعبّر مشاركة شابة عمرها 22 عامًا من إزمير عن آرائها في هذا السياق قائلة: "إن الولايات المتحدة تعتني بمنظمة فتح الله غولن الإرهابية، فهي لا تريد نمو تركيا. في عام 2023 سوف تنتهي مدة اتفاقية لوزان، وسيتخلص بلدنا من القيود المفروضة عليها. الآن لا تستطيع تركيا استخدام قوتها الحقيقية؛ لذا يريدون إنهاءها قبل حلول عام 2023. وإن عدم انتهاء منظمة بي كا كا الإرهابية أيضًا سببه الولايات المتحدة"(إزمير07-).

العوامل التي أحبطت المحاولة الانقلابية

عملت سياسات حزب العدالة والتنمية على تقليص آليات الوصايا العسكرية على السياسة بنسبة كبيرة، وإعادة إنشاء الذاكرة المجتمعية من جديد، وفي هذا الإطار فإن العامل الأهم في إخفاق المحاولة الانقلابية في 15 تموز، هو المواقف، والإدراك السلبي تجاه الانقلابات لدى الذاكرة المجتمعية، حيث أسهمت النتائج السلبية المباشرة تجاه فئة معينة من الشعب بعد كل عملية انقلابية منذ عام 1960، في تشكيل الوحدة المجتمعية ضد الانقلابات.

واستوجبت التحولات التي حصلت في السياسة خلال عهد حزب العدالة والتنمية والوعي الناشئ لدى جميع مستويات المجتمع ضد الانقلابات- وقوف جميع الأحزاب السياسية موقفًا واحدًا ضد محاولة انقلاب 15 تموز.

في هذا السياق ومن خلال التقييمات التي حصلنا عليها جرّاء اللقاءات التي أجريناها في تجمع الديمقراطية والشهداء بـ"يني قابي" في إسطنبول، مع مشارك عمره 29 عامًا ويعرّف نفسه بأنه من مواليي حزب العدالة والتنمية، ومع مشاركة أخرى في لقاء آخر بأنقرة، وعمرها 70 عامًا- نجد أن هناك تشابهًا في الذاكرة المجتمعية للشعب ضد الانقلابات.

"أسـهمت دعـوة الرئيس أردوغان الشـعب للخروج، والوعي الحاصل لدى الشـعب، ومـا عشـناه خـلال عهـد عدنـان منـدرس في إحبـاط المحاولـة الانقلابيـة. وتعلّمنـا بفضـل رئيس الجمهورية المطالبة بحقوقنا، فوقفته الشـامخة عزّزت من ثقتنا بأنفسـنا" (يني قابي06-، ذكر،29).

"نظـرت إلى هـذه المحاولـة على أنها معقّدة جدًّا، وعند تلاوة بيـان الانقلاب على التلفاز تذكـرت فورًا الثاني عشر من أيلول. وأتذكر السـابع عشر من نيسـان جيـدًا، كان كنعان أفرن قـد أعلن في 12 أيلول اسـتيلاءه على السـلطة، أما قـراءة البيان الانقـلابي في 15 تموز من قبل مدني (مذيعة تلفزيونية بدلًا من شخص عسكري)، لم تُخف الشعب بل زادته شجاعة وجرأة" (أنقرة10-، أنثى، 70).

ومـن جهـة أخـرى إن التحـوّل الذي حصـل في الإعـلام وتعدديتـه، وتطـور تكنولوجيا الاتصالات، من الأمور التي صعبت الأمر أمام الانقلابيين.

وعلى الرغم من تخطيط الانقلابيين لترك القناة الرسـمية التركية مفتوحة، وإسـكات باقي القنوات الأخرى، إلا أنهم لم يحصلوا على النتيجة المرجوّة.

كـما أن التحـول والتعددية اللذيـن حصـلا في البيروقراطية، ووصول النخـب المفكرة إلى مستوى يستطيعون فيه التأثير في الرأي العام- حرّمت الانقلابيين من الآليات الداعمة لهم.

إضافة إلى ذلك تزامنت زيادة قوة النخبة الوسـطى من الشـعب، وزيادة الثقة في الأوساط المحافظة في عهد حزب العدالة والتنمية- مع وجود الكتل المكافحة التي تخرج إلى السـاحات وتواجه الدبابات وتعتليها.

وإلى جانب هذا فقد كان لنجاح حزب العدالة والتنمية في كفاحه ضد الأزمات السياسية، وعلى رأسـها مذكرة السـابع والعشرين من نيسـان الإلكترونية، والمحاولة الانقلابية في 17-

25 من كانون الأول/ ديسمبر- دور رئيس في إحباط المحاولة الانقلابية هذه؛ لأنّ العناصر السياسية خرجت من كل أزمة حدثت، وهي مكتسبة قوة أكبر، ومستفيدة من التجارب الحاصلة خلالها.

ومن جهة أخرى فإن من بين العناصر التي أحبطت المحاولة الانقلابية توقيت حدوثها، وكونها حدثت خارج سلسلة القيادة العسكرية، وتشكيل قوات الأمن والشرطة قوة موازنة ضمن البنية الأمنية ومكافحتها ضد الانقلاب. أما بالنسبة لدور القيادة السياسية، فذاك موضوع ينبغي تناوله في بحث مستقل.

وتوضّح لنا سيدة منزل عمرها 52 عامًا من أضنة، فتقول إنها عاشت الانقلابات السابقة، ووضحت العناصر التي ذكرناها آنفًا، والتي أسهمت في إحباط المحاولة بالعبارات الآتية:

"أرى أن الشعب قد تغيّر، فقد خرجوا إلى الشوارع على الفور؛ لأننا بلد دفعنا ثمن عدم الخروج إلى الساحات وإلى الشوارع باهظًا فيما مضى... برأيي أن الفرد في هذا المجتمع أصبح يصل شيئًا فشيئًا إلى الوعي الذي يمكّنه من التعبير عن رأيه... أنا أدليت بصوتي وبيّنت إرادتي، فكيف تتجرأ أنت على رمي صوتي في الزبالة؟ من أين لك هذا الحق؟... في الأصل ينبغي توجيه صفعة قوية لأولئك الذين قاموا بهذه المحاولة، والوحيد القادر على فعل هذا الشيء هو المواطن" (أضنة- 09 أنثى، 52).

دور أردوغان في عرقلة المحاولة الانقلابية ورصّ الصفّ المجتمعي

تحمل القيادة السياسية لرئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان أهمية كبيرة في إحباط المحاولة الانقلابية التي قامت بها منظمة فتح الله غولن الإرهابية.

اعترافات المتورطين، أظهرت لنا أن هذه المحاولة الفاشلة التي قامت بها طغمة عسكرية داخل القوات المسلحة كانت نتاج خطة مجهّزة منذ فترة طويلة، إلا أن الأمر الذي أغفله الانقلابيون ولم يحسبوا له حسابًا، هو أن المجتمع التركي بسياسته وقيادته السياسية اجتاز العديد من التحديات حتى الآن، فإن نجاح أردوغان في مكافحة الأزمات ولّدت تجربة سياسية كلية.

وعند تحليل دعوة الشعب للنزول إلى الساحات، والصمود ضد الانقلابيين، والمشاركة في مظاهرات (صون الديمقراطية) في مختلف الساحات من خلال الشخصية القيادية لأردوغان- يظهر لنا بُعدان اثنان للموضوع:

البُعد الأول هو دعوة أردوغان الشعب التركي من خلال مكالمة مرئية إلى لنزول إلى الساحات والتوجه إلى المطارات عقب تلقيه خبر المحاولة الانقلابية، حيث أمّن التفوق النفسي على الانقلابيين من خلال بدء الشعب بالمقاومة من خلال نزوله إلى الساحات عقب دعوة أردوغان.

تحمل القيادة السياسية لرئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان أهمية كبيرة في إحباط المحاولة الانقلابية التي قامت بها منظمة فتح الله غولن الإرهابية.

ومع هذه الحملة الحساسة زادت الثقة بالنفس في الجبهة المعارضة للانقلاب، بينما كانت ثقة الانقلابيين بأنفسهم تتزعزع شيئًا فشيئًا، وزاد من هذه الثقة موقف العزيمة وعدم التردد الذي أظهره أردوغان في أثناء دعوته الشعب، وحضوره بعد ذلك إلى مطار أتاتورك.

إضافة إلى ذلك فإن الحملات التكتيكية، كرفع أصوات الصلوات والأذان من مآذن المساجد طوال ليلة الانقلاب، أسهمت في إدراك الشعب أن المسألة متعلقة بالاستقلال ومصير البلد، وفي هذا الشأن قال بعض الذين التقينا بهم في الساحات ممن ينتمون إلى خلفيات سياسية مختلفة ما يأتي:

"أرى أن أردوغان محبوب جدًّا، وقد رأينا أنهم يحبونه لدرجة يستعدّون للموت من أجله. ولهذا السبب فإن استطاع الانقلابيون إلقاء القبض على أردوغان، كان سيخرج الناس بأعداد أكبر من هذا، ولم يكونوا يرضون العودة إلى منازلهم. حتى إن المواطن كان يرضى الموت لنفسه، لكنه يصر على بيان موقفه من الانقلاب" (أنقرة- 16، أنثى، 33).

"برأيي السبب الأكبر والأهم لفشل الانقلاب هو دعوة رئيسنا الشعب إلى الخروج إلى الساحات؛ لأن الشعب كان جاهزًا للفداء بروحه. كان الجميع يخرج، ولم يكن يفكّر قطّ بأنه سوف يموت، وكان الكلّ يدلي بتصريحات، عشنا انقلابات عديدة قبل هذا إلا أنه لم يقم أحد بإطلاق النار على شعبه. لهذا لم يكن يخطر ببال أحد أنه سوف يتعرض لإطلاق نار، وخرجوا إلى الساحات من أجل الوطن، وبالطبع فإن الأثر الكبير كان بيان رئيس الجمهورية" (يني قابي- 07، أنثى، 48).

ونفهم من خلال ما قاله الأشخاص الذين خرجوا إلى الساحات من مؤيدين و معارضين لأردوغان، أن بيان رئيس الجمهورية عقب التأكد من حدوث المحاولة الانقلابية- منح الشعب ثقة بالنفس، حيث خرج قسم كبير من الشعب إلى الساحات فور بيان أردوغان، ووفق ما عبّر به مَن التقينا معهم، فإن الذين خرجوا إلى الساحات بعد بيان الرئيس مباشرة، لم يكتفوا بالخروج فقط، بل توجهوا إلى الأماكن التي من المحتمل حدوث الاشتباكات فيها بغية المواجهة.

أحد سكان أضنة عمره 52 عامًا ممن التقينا به يعرّف نفسه بأنه من مواليي حزب العدالة والتنمية، يقول في تقييمه لبيان الرئيس أردوغان: "لقد أدركت منذ حديث السيد أردوغان أن الانقلاب سيفشل، ومن ثم خرجت إلى الشارع، وأيقنت حينها أنهم لن ينجحوا".

أما الرجل الذي التقيناه في مظاهرة (صون الديمقراطية) بتقسيم، وهو عسكري متقاعد عمره 47 عامًا، ومن مواليي حزب السعادة- فقد سرد لنا رأيه في موضوع القيادة السياسية

والثقة قائلًا: "إن القيادة السياسية عرقلت حدوث حالة من عدم الثقة، وكان المخرج الوحيد من هذه الحادثة التي عشناها هو الشخصية القيادية لأردوغان" (تقسيم- 03).

وفي ميدان تقسيم أيضًا وخلال الحفل المهرجاني لحزب الشعب الجمهوري التقينا سيدة مشاركة عمرها 38 عامًا وهي من مواليي حزب الشعب الجمهوري أيضا ومدرّسة للفنون المرئية، قالت: إن القيادة السياسية لأردوغان والصلة التي بينه وبين المجتمع أدّتا دورًا كبيرًا في عرقلة المحاولة الانقلابية، وأضافت أنها تشعر في هذه الفترة بقرابة من أردوغان، أكثر من أي وقت مضى حيث قالت:

"لأول مرة أشعر بقرب كهذا تجاه أردوغان، حتى إنني بدأت أكنّ المودّة تجاهه، وخلال البث المباشر لكلمة الرئيس ليلة المحاولة الانقلابية كنت أنتظر شيئًا ما يدفعني لأقول بكل قلبي 'رئيسنا'. والآن قررت أن هناك رجلًا واحدًا فقط مثل أتاتورك. ولذلك لا أستطيع تركه وحيدًا" (تقسيم- 10).

أما البعد الثاني فهو متعلق بشكل مباشر بالقيادة السياسية لأردوغان، ليس في ليلة المحاولة الانقلابية فقط، بل منذ عام 2002، حيث بدأ باتباع سياسة تجعل التحول السياسي والمجتمعي ممكنًا في تركيا، وأكسب المجتمع ثقة في مكافحته ضد الكيانات غير الديمقراطية وأنظمة الوصاية، وأرغم الإعلام والأحزاب السياسية والكيانات البيروقراطية التي كانت تدعم الانقلابات في الماضي، على التحول[20].

عملت سياسات حزب العدالة والتنمية على تقليص آليات الوصايا العسكرية على السياسة بنسبة كبيرة، وإعادة إنشاء الذاكرة المجتمعية من جديد.

وبينما كان المثقفون يدونون مشروعية الانقلاب فيما سبق، كانت الأحزاب السياسية تدافع عن هذه المشروعية، أما الإعلام فكان يتولى نقل هذه المشروعية إلى المجتمع، وكانت حينها الكيانات البيروقراطية المدنية وعلى رأسها القضائية تُهرَع إلى التعاون مع الطغمة العسكرية، وتنظّم المرحلة التي كانت تلي الانقلاب لصالح هؤلاء، مما كان يضفي الصفة العادية للانقلابات، وتُحبس السياسة في زوايا ضيقة، وكانت هذه الأجواء تُجبر المجتمع في الوقت نفسه على الصمت، وتُفقد الكتل المجتمعية الواسعة الثقة التي تدفعهم للاعتراض على الانقلابات[21].

أما في محاولة 15 تموز، فقد واجهت الأحزاب السياسية الانقلاب من دون أيّ مبرر، وبفضل تعددية الإعلام في السنوات العشر الأخيرة لم يكن لاستيلاء الانقلابيين على القناة التركية الرسمية تأثير كبير، ولم تدعم البيروقراطية الانقلاب بسبب انفراط الكتلة التاريخية التي كانت في العهد القديم، على سبيل المثال نشرت المحكمة الدستورية العليا بيانًا تدين فيه الانقلاب منذ الوهلة الأولى لبدايته، واستخدمت المجالس المحلية والبلديات الآلات الثقيلة بشكل فعال ضد الانقلابيين.

وإن فشل محاولة انقلاب 15 تموز مرتبط أيضًا بالقيادة السياسية التي أظهرها أردوغان عقب مذكرة 17 نيسان الإلكترونية، حيث كانت ردة الفعل القاسية تجاه تلك المذكرة والحكم عليها بالفشل نقطة تحوّل في تاريخ الانقلابات.

وإذا حلّلنا هذه الفترة مع تلك التحديات الكبيرة التي واجهها حزب العدالة والتنمية، نجد أن الحزب المذكور اكتسب تجربة (تعلّم سياسي) من خلال تخطّي أزمات كهذه، وهو ما أدى إلى زيادة ترسيخ الثقة بالنفس عبر خروجها من كل أزمة بتجارب جديدة.

عقب المحاولة الانقلابية في فترة 17–25 كانون الأول، رأى أردوغان أن مكافحة منظمة غولن الإرهابية حيوية من أجل بقاء الدولة ومصيرها، وشرع يبيّن للشعب بنفسه خطر الكيان الموازي ومنظمة غولن على الدولة، بل وضّح لهم المفهوم الديني الضالّ الذي يتبناه فتح الله غولن، وأقنع كتلة واسعة من المجتمع بوجوب مكافحة هذه المنظمة، واستمر بالكفاح على الرغم من عدم تلقيه الدعم من الأحزاب المعارضة الأخرى، بل حتى عدم إدراك طائفة ممن داخل حزبه جدية الخطورة المحدقة.

وكان لتصفية قسم كبير من الكادر الإداري للمنظمة ممن تمركزوا في القضاء والأمن دور رئيس في عرقلة المحاولة الانقلابية وإحباطها، إضافة إلى ذلك لجأ أردوغان إلى الحدّ من الدعم المقدّم إلى المنظمة من خلال مكافحة الداعم الإعلامي لهم.

ومن جهة أخرى اتّخذ تدابير عدة من أجل تجفيف مصادر الدعم الاقتصادي للمنظمة، وبهذا أسهم في إضعاف قوة منظمة فتح الله غولن الإرهابية، وتّبين لنا أنه إن لم تكن قيادة أردوغان اتّخذت هذه التدابير، كانت المحاولة الانقلابية ستؤدي في الوقت الراهن إلى أزمات أعمق بكثير، كما تبيّن كذلك وجود قناعة مشتركة في المجتمع حول ظهور الخطاب التهديدي لمنظمة غولن بعد 17–25 كانون الأول خلال مسيرة مكافحة أردوغان ضد التنظيم المذكور.

ويتفق القسم الأكبر من الذين قابلناهم على أن أردوغان هو الشخص الوحيد القادر على مواجهة هذه المنظمة ومكافحتها، وهناك إدراك أن أردوغان بقي وحيدًا في أغلب الأوقات في مواجهاته هذه.

من ناحية أخرى وعلى الرغم من ذكر بعض المشاركين الناقدين لأردوغان وحزب العدالة والتنمية لتقديمهم الدعم لهذه المنظمة قبل فترة 17–25 كانون الأول، إلا أنهم بيّنوا أيضًا أن منظمة غولن قادرة على إغراء حتى أردوغان[22].

وبينما قال لنا أحد المشاركين من مدينة أضنة، وعمره 28 عامًا، ويعرّف نفسه بأنه ديمقراطي التوجه: "منذ أن قال رئيسنا: إننا 'سندخل إلى معاقلهم' كنا ندرك ما سيحصل أصلًا؛ يعني أننا كنا نعلم حقيقة هؤلاء من قبل"، وأجابت إحدى المشاركات وهي مصمّمة أزياء بمدينة أسكي شهير، وعمرها 38 عامًا قائلة: "عندما وصف رئيس الجمهورية هؤلاء بالكيان الموازي، لا

شك أنه كان يملك أدلة حول ذلك، إلا أنه يجب القول أيضًا إنهم كانوا سويًّا في السابق، وطالما كانوا معًا، إذ أغروه هو أيضًا".

الرؤية تجاه القوات المسلحة التركية عقب 15 تموز

من خلال المشاركات واللقاءات التي أجريناها تبيّن لنا أن الأغلبية الساحقة من المشاركين يستطيعون تمييز عناصر منظمة فتح الله غولن الإرهابية عن باقي عناصر الجيش، ويقفون موقفًا إيجابيًّا وداعمًا تجاه القسم الآخر.

وبينما كان الرأي الغالب في اللقاءات يشير إلى تشكيل المنظمة أزمة ضمن الجيش التركي، فإنهم تطرقوا أيضًا إلى وجوب تقييم الجيش بعيدًا عن العناصر الإرهابية الموجودة داخله.

وفي هذا الإطار فإنه عند مراعاة أعمار الذين لا يرون وجود نظرة سلبية تجاه الجيش، نستطيع القول بعدم وجود فرق كبير بين العنصر الشبابي والمسنين، ولا يمكن القول إنهم يعيشون خيبة أمل تجاه الجيش، أو إنهم غيروا وجهات نظرهم بحقّه على الرغم من تسلّل عناصر منظمة غولن الإرهابية إليه. ونسرد لكم بعض الآراء التي تدعم هذا الرأي:

"سألتحق بالجيش في شهر أغسطس/ آب، ولا أدري ما سأعيشه هناك، ولكن سيراودني شعور قطعي بالدفاع عن الجيش التركي، ولا يمكن أن أكون ضده، كما أنه لا شك أن

الذين أطلقوا النار على الشعب هم عناصر منظمة فتح الله غولن الإرهابية" (طرابزون08-، ذكر، 25).

"كان هناك متعاونون وعناصر تابعة لمنظمة فتح الله غولن الإرهابية ممن غُرّر بهم بين الانقلابيين. كانوا سيتخلون عن الوطن مقابل عدة قروش من المال، لكنهم فشلوا. لم تتغير وجهة نظري تجاه الجيش التركي بسبب ثلة صغيرة من عناصر منظمة غولن الإرهابية" (وان-10، ذكر، 19).

وفي أثناء اللقاءات أيضًا توصلنا إلى وجود انطباعات إيجابية بشكل عام تجاه القيادة الرفيعة للجيش ممن تصرفوا ضمن الأطر الديمقراطية، واستمروا بمهامهم ملتزمين بالإرادة الشعبية المدنية .

ومن الممكن رؤية هذه الانطباعات الإيجابية التي بقيت موجودة جرّاء اتخاذ القيادة الرفيعة للجيش التي كان لها دور رئيس خلال ليلة الانقلاب والفترة التي تبعتها- موقفًا بجانب الإرادة الشعبية وتحركها مع رئيس الجمهورية- من الممكن رؤيتها من خلال البيانات الآتية:

"شكلت منظمة فتح الله غولن الإرهابية بنية لها ضمن الجيش أيضًا، ولم يعد هناك شيء يمكن فعله لعرقلتهم في الحقيقة، وللأسف كان الجنود هم المغدورين. الجيش أدلى ببياناته أصلًا، حيث جاء بيانه بعد بيان الرئيس بأنه ضد المحاولة الانقلابية، لم يتغير موقفنا تجاه الجيش أبدًا، فجنود الشعب التركي هم جنودنا، والذين قاموا بالمحاولة الانقلابية هم عناصر التنظيم الإرهابي الذي ذكرناه" (أضنة- 02، ذكر، 22).

كما لوحظ أيضًا وجود فجوة وانفكاك بين الناخب اليساري الذي عاش انقلاب عام 1980 وبين الجيل الشبابي، وفي هذا الإطار وبينما شوهد أنّ ميول ناخب حزب الشعب الجمهوري "اعتماد الجيش التركي" لم يتأثر بفعل محاولة 15 تموز، وأنهم يميزون بين الجيش التركي ومنظمة فتح الله غولن الإرهابية المتشكلة ضمنه- فقد بيّن بعض المشاركين اليساريين في آرائهم أنهم لم يكونوا يثقون بالجيش منذ فترة ما قبل عام 1980.

"لم أكن أثق بالجيش قبل 1980 ولا أثق به الآن أيضًا" (تقسيم08-، أنثى، 60).

كما تثبّت أن الأشخاص المعارضين لحزب العدالة والتنمية أو ممن نستطيع وصفهم بالكتلة اليسارية، لا يحملون الثقة لا للجيش التركي فحسب، بل لكلّ قوة مسلحة تنعكس على شكل عسكري، حيث يبيّن لنا أحد المشاركين من تقسيم وهو جامعي عمره 36 عامًا، رأيه في هذا الخصوص قائلًا:

"لم أتفاجأ بما حصل، ولا أظن أن هناك فائدة لأي جيش في العالم، لا أثق قطّ بالجيوش عامّة" (تقسيم01-، ذكر، 36).

ومن جهة أخرى كان من اللافت للنظر في بعض اللقاءات الإشارة إلى الآثار السيئة لانقلاب 28شباط/ فبراير في أثناء توجيه الانتقادات الحادة إلى الجيش.

ووجّهت هذه الانتقادات كتلتان مختلفتان ولكن بعبارات متشابهة، وتأكّدنا من أن إعدام عدنان مندرس وما ارتُكب تجاه الفئة المحافظة من الشعب عقب 28 فبراير، خلقت في هذه الفئة شيئًا من النقص في الثقة بالجيش.

ويذكر المشاركون هذا الأمر على الشكل الآتي:

"يبدو من حيث المظهر أن الجيش التركي عصري، وأنه لايزال يمتلك عقلية وطنية، ولا يزال الذين يرون أن العسكر هو القوة العليا يشكلون الأغلبية، لكني كنت ولا أزال أرى أنه يحتمل التهديد في أي وقت كان" (أنقرة08-، أنثى، 29).

أما بشكل عام فتشكّل الآراء الإيجابية التي ترى أن الجيش هو "قرّة عين" هذا المجتمع- الأغلبية بين جميع الآراء الأخرى، ونجد هنا ذكر عبارات دينية وروحية بكثرة تجاه الجيش، مثل إطلاق صفة "دار النبوة" للجيش، ومن الواضح أن هذا الأمر ليس مخصوصًا بمنطقة أو قضاء في محافظة معينة فحسب، بل هو في جميع مناطق البلاد.

وصادفتنا مقاربات مختلفة لهذا الشأن في مدن أخرى:

"طرأ تغيير كالآتي: لا بد من وجوب تطهير الجيش من هؤلاء الخونة، وعليكم أن تسألوا بعد الآن أصول ونسب كل واحد تضمونه للجيش، لم يطرأ أي تغيير على وجهة نظري، فأنا أعدّ الجيش 'دار نبوة'. وسنطهّره وننظمه. يجب إزالة ثكنة 'قوللي' والمدرسة الحربية، وتحويلهما إلى مركزين مدنيين. كما يجب تدريب خريجي الجامعة مثل الشرطة لسنة أو سنتين. في الأصل إن هؤلاء الخونة كانوا يسمّمون أفكارهم في ثكنة 'قوللي' وفي المدرسة الحربية. وينشئونهم بعقلية احتلالية" (أضنة- 06، ذكر، 60).

الرؤية تجاه منظمة فتح الله غولن الإرهابية

حاولنا من خلال سؤال المشاركين عن وجهات نظرهم تجاه منظمة فتح الله غولن الإرهابية فهم مدى التغيرات التي عاشوها تجاه هذه المنظمة قبل المحاولة الانقلابية وبعدها.

اتفق جميع المشاركين باختلاف انتماءاتهم وأيديولوجياتهم بوجود منظمة فتح الله غولن الإرهابية في تركيا، وأنها تشكل تهديدًا كبيرًا على البلاد.

وإلى جانب هذا نستطيع القول إن هناك ثلاث مجموعات مختلفة في موضوع امتلاك معلومات حول المنظمة المذكورة، وهذه المجموعات هي: مجموعة صاحبة وجهة النظر السلبية منذ البداية تجاه التنظيم، وأخرى كانت تنظر نظرة إيجابية تجاه المنظمة في البداية وتغيرت وجهة نظرها بعد أحداث (غازي بارك) ومحاولة الانقلاب في 17-25 كانون الأول، ومجموعة ثالثة أصبحت لديها معلومات واضحة حول منظمة فتح الله غولن الإرهابية.

شُوهدَ في المجموعة الأولى أن هؤلاء كانوا أصحاب أفكار سلبية ضد التنظيم منذ البداية، والنقطة اللافتة للنظر أن أعداد المشاركين من هؤلاء قليلة بالنظر إلى المجموعتين الباقيتين، وذكر بعض الأشخاص في هذه المجموعة أن السبب وراء حملهم لتلك الأفكار منذ البداية تجاه

المنظمـة هو الأفكار والمفاهيم الدينية المتناقضة والمعوجّة التـي كانت المنظمة تتبناها، والبعض الآخر اختار الابتعاد عنهم نتيجة التجارب الشـخصية التي عاشـها معهم، أما القسـم الآخر فلأنه صاحب نظرة سلبية تجاه الجماعات الدينية كلها، ويرى أن العبادة أمر خاص بالفرد.

ويعبّر المشاركون الذين ينتقدون المقاربة الدينية للمنظمة عن آرائهم كما يأتي:

"آرائي عنهم كانت سـلبية بالأصل. وكانت لديهم مشـكلات مـن الناحية الدينية، فهي بنيـة منغلقة على نفسـها، وغـير مانحة للثقـة، وأنانية، هذا مـا جعلني أبتعد عنهم" (قسـقلي-01، ذكر، 56).

"أرى أن فتـح الله غولـن يسـتغلّ الديـن تمامًـا، كـما يسـتغلّ أصحـاب النوايـا المخلصة والصادقـة من المسـلمين في سـبيل هذا الهـدف، وهناك صـورة سياسـية تظهر ما أقوله، ويسـتطيع كل شـخص صاحب تفكير -إن لم يكن قد أعار عقله وفكره لأحد- أن يرى ما أقوله بوضوح" (أضنة05-، ذكر، 26).

شكلـت منظمة فتـح الله غولن الإرهابية بنية لها ضمن الجيش أيضًا، ولم يعد هناك شيء يمكن فعله لعرقلتهم.

وبيّن الأشخاص الذين كانوا ينظرون إلى هذه المنظمة على أنها حركة سـلبية منذ بداية نشـأتها في السبعينيات- أنهم كانوا يسـتندون في ذلك إلى تجاربهم الشـخصية التي عاشـوها، فعلى سـبيل المثال تسرد لنا امرأة عمرها 46 عامًا، نقطة التحول التي فقدت فيها ثقتها تجاه المنظمة المذكورة، حيث أُغلقت ثانويـة (الأئمة والخطباء) التي كانت تدرس فيها بمدينة إسـبارطة عقب انقلاب عام 1980، ثم حُوِّلت هذه المدرسة إلى وقف تابع لفتح الله غولن. تقول مبينة وجهة نظرها تجاه التنظيم:

"منـذ البدايـة لم أنظـر إلى منظمة غولـن نظرة إيجابيـة. تلقيت تعليمي في مدرسـة الأئمة والخطبـاء بإسـبارطة، وكانـت الأرض التي عليها مدرسـتي واسـعة جدًّا، وبعـد انقلاب 12 أيلـول مُنحت ملكية مدرسـتنا إلى جمعيـة آق يازيلي، وكانت هذه الجمعيـة تابعة لغولن، حيث مُنح طابو الأرض لهم، وفيما بعد شـيّدوا مدرسـتين في حديقة هذه المدرسـة. اعترضنا على هذا وعُرِض الأمر على فتح الله غولن إلا أنه لم يقبل اعتراضنا، وشُيِّدت هاتان المدرستان.. حرمونا من مَدرستنا" (أنقرة20-، أنثى، 46).

"كانت نظرتي تجاه غولن تشوبها الشك دومًا، كانوا يتصرفون بمنفعية، لم أتعاطف معهم، ولم أثق بهم أبدًا" (أنقرة07-، أنثى، 45).

وإلى جانـب أصحـاب النظـرة السـلبية منـذ البداية، كان أغلب المشـاركين مـن أصحاب المجموعة الثانية.

حيـث يبـيّن هؤلاء أنهم كانـوا أصحاب أفـكار إيجابية حـول التنظيم إلا أنهم غـيروا تلك الأفكار إلى السلبية عقب أحداث غازي بارك، ومحاولة الانقلاب في 17-25 ديسمبر/ كانون الأول، وعبّر بعض من هؤلاء عن آرائهم بالشكل الآتي:

"كُنت في معاهدهم الدراسية، وقرأت مؤلفاتهم، إلا أنني عشت خيبة أمل بعد 17 ديسمبر كانون الأول (2013) (قسقلي06-، ذكر، 33).

"إن هؤلاء الناس أشبه بالقطيع، وإن عديم الشرف هذا (فتح الله غولن) ذهب إلى أمريكا. أنا من مدينة أرضروم، كنا ننظر له سابقًا على أنه شيخ، وكنّا نجله، ونستمع له، ونحترمه" (إزمير15-، ذكر، 61).

يذكر لنا أحد المشاركين الشباب من أضنة وعمره 26 عامًا، ويبيّن أن فكرته الإيجابية تجاه هذه المنظمة قد تغيّرت بعد موقفها تجاه حادثة ماوي مرمرة، إلى جانب أحداث غازي بارك، و17-25 ديسمبر/ كانون الأول:

"إنني منفعل ضدّ هذا التنظيم بسبب موقفه تجاه حادثة ماوي مرمرة أكثر من انفعالي بسبب أفكاره وأحاديثه السلبية حول الوطن والأمة والدولة" (أضنة05-، ذكر، 26).

ويبدو أنه من الممكن تقسيم المشاركين الذين تغيرت وجهات نظرهم تجاه المنظمة بعد 15 تموز إلى فئتين:

الفئة الأولى هم المحافظون والتيار اليميني الذين لم يكونوا يعدّون هذه المنظمة إرهابية، والثانية هم أصحاب الميول السياسية الذين في دائرة حزب الشعب الجمهوري وحزب الشعوب الديمقراطي الكردي ممن لا يمتلكون معلومات كثيرة عن المنظمة، واتسعت دائرة معلوماتهم عنه بعد الخامس عشر من تموز.

ويذكر لنا أحد المشاركين من مدينة وان ممن يعرّف نفسه بأنه من المحافظين، وهو متقاعد وعمره 58 عامًا- أن رأيه تجاه منظمة غولن قد تغيّر بعد 15 تموز قائلًا:

"كنت أظن لغاية 15 تموز أن ما يقال عن منظمة غولن إنها إرهابية مبالغ فيه... أما الآن فإن وجوده في الولايات المتحدة الأمريكية دليل على أن أمريكا وراء هذه المنظمة بالدرجة الأولى، وثبت صحة ما كان يقوله رئيس الجمهورية، فقاعدة هذه المنظمة عبيد، وطبقته الوسطى تجّار، والذين في ذروته خونة. وكنت أرى أن هذا مبالغ أيضًا، هم لا يجرؤون على خيانة بهذه الدرجة، لا بد أن وراءهم قوة خارجية، كما هو الحال في منظمة بي كا كا التي تدعي أنها حركة كردية، فالحال كذلك بالنسبة لهذه المنظمة أيضًا، لابدّ أن قوة خارجية تقف وراء هاتين المنظمتين" (وان09-).

تصفية الحسابات مع الانقلابيين وداعميهم

هناك محوران رئيسان في تصفية الحسابات مع القائمين بالانقلاب: الأول هو المحاسبة السياسية المتمثّلة في اتخاذ التدابير من قبل الإرادة السياسية.

أما الثاني فهو المحاسبة القانونية التي تشير إلى ردّة فعل القوانين والمؤسسات الحقوقية ونتائجها[23].

في هـذا الإطـار يضع لنـا المشـاركون في اللقاءات التي أجريناها معهم نسـيجًا واسـعًا من الأفكار حول ماهية التدابير التي يجب اتخاذها في المستقبل وسياسات التطهير.

والـرأي الغالـب في اللقـاءات هـو بدء المؤسسـة السياسـية بمقاضاة الانقلابيـين بسرعة، وإخراج الأشـخاص الذين يتأكّد ارتباطهم بمنظمة غولن من المؤسسات الحكومية، وطردهم مـن أعمالهم، ويركّزون بشـكل خاص على وجوب إعادة النظر في نظـام الامتحانات من أجل عرقلة تسلّل عناصر منظمة غولن إلى بنية الدولة، حيث أوضح أحد طلاب الدكتوراه في أضنة وعمره 36 عامًا هذا الأمر قائلًا:

"يجب أولًا أن نعيد النظر في نظامنا الامتحاني؛ لأن هؤلاء الغولانيين ينشئون عناصرهم منـذ الصغـر، حيـث يضمّـون أطفـالًا أعمارهـم 12-13 عامًـا إلى بنيتهـم، ثـم يحقنونهـم ما يشـاؤون... هل لك أن تتخيل أن واحدًا من هـؤلاء أصبح جنرالًا، أو مديرًا للأمن، أو مديرًا عامًّـا لدائـرة ما، أو قاضيًا، أو نائبًا- ثم لا ينفّذ كلام هذا الشـخص بشـكل حرفي؟!" (أضنة-04، 36).

وصوّر لنا العديد من المشاركين تصفية المؤسسات الحكومية من الذين لهم علاقة بالانقلاب ومنظمة غولن بعبارات، مثل (التطهير) و(اقتلاع وتجفيف الجذور).

وتطرق آخرون من المشـاركين إلى أن تصفية هؤلاء من المؤسسات الحكومية قد يكون غير كاف لوحده، ورأوا وجوب الحدّ من تكتّل الجماعات في هذه المؤسسات؛ لعرقلة وقوع أحداث كهذه. يذكر لنا أحد المعيدين الجامعيين في قسقلي وعمره 33 عامًا رأيه في هذا الموضوع قائلًا:

"تأخرنـا في الانتبـاه إلى خطـورة المسـألة، إن هـؤلاء ماكرون ومنافقـون وكاذبون، يجب الاسـتمرار في السياسـة الحاليـة القاسـية، كما يجـب مصـادرة ممتلكاتهم، إضافـة إلى هذا يجب ألا يُفتَح المجال لهذه الدرجة بعد الآن أمام جماعة ما أيًّا كانت، فلا داعي للإضرار في الشـعور بالعدالة" (قسقلي06-، ذكر، 33).

ومن الأمور الأخرى التي يتفق في شـأنها المشـاركون تقوية بنية المؤسسـة الاسـتخباراتية، حيـث أفاد المشـاركون وجـوب وضع مفهـوم أوضح لإزالـة الضعف الاسـتخباراتي، وعدم مشـاركة المعلومات السرية، وإجراء تقييم وتدقيق شـامل بحق المسـؤولين رفيعي المستوى في هذه المؤسسة.

تذكر لنا امرأة متقاعدة عمرها 61 عامًا من إزمير آراءها قائلة:

"أنـا مواطنة، وليسـت لـدي معلومات أو اسـتخبارات، وذلك ليس ممكنًـا أصلًا، لكن كيف للدولة ألا تسـتطيع عرقلة هذا، ولا تكون لديها معلومات اسـتخباراتية بشـأن المحاولة الانقلابيـة؟ يجب على الدولة أن تفتح آذانها صاغية من أجل مكافحة هذا الأمر" (إزمير10-، أنثى، 61).

ومن الأمور التي ذكرها بعض المشاركين أيضًا تعديل المؤسسات والمدارس العسكرية.

وأكـد بعضهـم ضرورة اتخاذ تدبيرات في هذا النحو، وألا تُستنزَف المؤسسـة العسـكرية، ويفتـحَ الطريق أمام ثغرة أمنية، وكذلك على وجوب إحكام آلية السـيطرة بشـكل خاصّ على المدارس العسـكرية، إضافة إلى هذا ذكر أحد المدرسـين من مدينة سـاقاريا وعمره 34 عامًا- وجوب تغيّر النظرة إلى مفهوم العسكر لدى المجتمع قائلًا:

"يجـب بعد الآن عرقلة التمييز بين الشـعب، والاتفاق ضمـن أرضية القانون على منهج تعليمـي، والتخلـص من الحالـة الاجتماعية المكونـة للعقلية الانقلابية، على سـبيل المثال يجب أن تكون هناك عقلية تعطي الأولوية لموضوعات، كالديمقراطية، وحقوق الإنسان، والقانون بدلًا من سرد المديح المسـتمر للعسكر، والجيش، وتكرار انتصاراته في الماضي" (ساقاريا01-، ذكر، 34).

إن الانتهـاكات التي تسـبّبت بها منظمة فتح الله غولن الإرهابيـة من خلال محاولة انقلاب تموز الانقلابية تنقسـم من حيث السـياق إلى محورين: يتعلق الأول منهما بمحاولة هدم النظام الدستوري، ويتعلق الثاني بشكل مباشر بانتهاكات حقوق الإنسان من خلال القتلى والجرحى الذين سقطوا؛ لهذا السبب فإنه من المفيد جدًّا خلال تصفية الحسابات مع المحاولة الانقلابية- وضع آلية نظام تتصدرها مبادئ وقوانين حقوق الإنسـان، وتتخذ من منظور القانون الوطني إطارًا له، ومن الفوائد الأخرى لهذه الخطوة تشـكيل رأي عام ضد الانقلابين، وبالأخص على المستوى العالمي[24].

كـما أن عمليـة تحديـد المتورطـين في المحاولة الانقلابيـة التي تُعـدّ من مكونات المحاسـبة السياسـية، تحضّر أرضية للخطوة المقبلة، لتسـهيل البدء بالمحاسـبة القانونية، وهكذا سـتُؤمّن محاسـبة العنـاصر التي بـدأت تصفيتهـا في نهاية العمليـات القانونية، وذلك مـن خلال فرض العقوبات اللازمة عليهم، وستُحدّد أطر هذه العقوبات عبر إحكام قانون العقوبات من جهة، ورعايـة مبـادئ حقوق الإنسـان العالميـة لارتكاب الانقلابيـين انتهـاكات بخصوص حقوق الإنسان من جهة أخرى.

سـألنا المشـاركين عن آرائهـم حول ماهيـة وكيفية مقاضـاة عناصر منظمة فتـح الله غولن الإرهابية ممن شاركوا في المحاولة الانقلابية.

التقينا تاجرًا عمره خمسون عامًا في ديار بكر، حيث لفت إلى ضرورة إجراء عملية المقاضاة بحساسية فائقة، وأن تكون مساءلة المؤسسات المعنية بدرجة كبيرة:

"يجـب ألا تُميّع عمليـة مقاضاة هؤلاء كما حصل في قضيتي المطرقة وأرغنكون، كما يجب ألا تُغفَـر أخطـاء المحاكـم والقضاة. وبالأخصّ ألا يُعيّن الأشـخاص المشـتبه بهـم في قضيتي المطرقة وأرغنكون في المناصب الشاغرة من عناصر منظمة فتح الله غولن الإرهابية، إن هؤلاء لا يرحموننا أيضًا" (ديار بكر6-، ذكر، 50).

يجب ألا ننسـى أيضًا أنه عندما أجرينا هذه اللقاءات كانت آثار المحاولة الانقلابية لا تزال موجـودة، وفكرة إعادة الإعدام كانت تُناقش بكثرة ضمن الأجندة السياسـية، ولهذا السـبب

شـكّل الإعدام أغلبية الأفكار والأجوبة التي حصلنا عليها مقابل سـؤالنا حول ماهية وكيفية العقوبـات المزمع فرضها، وتُظهر إجابات أغلبية المشـاركين بـ"الإعدام" مقابل الأسـئلة التي طرحناهـا عليهـم ضمن نطاق سـؤالنا "كيف يجب محاسـبة الانقلابيـين؟"- ردة الفعل الحادة للمجتمع ضد الانقلابين.

ويمكـن تصنيف الأفـكار حول الإعدام في ثلاث مجموعات أساسـية: الطالبين بالإعدام، والرافضين له، والمترددين.

شُوهد أن الذين خرجوا ليلة المحاولة الانقلابية إلى الساحات والشوارع وعاشوا الأحداث العديدة، لم يتخلصوا من تأثير ما عاشوه، وأن الذين فقدوا منهم أفرادًا من عائلتهم أو أحدًا من أقربائهم يصرّون وبشكل كبير على فرض عقوبة الإعدام.

ربما طلبُ الإعدام يسـتند في قاعدته إلى التفكير بأن الجيش في حال قيامه بمحاولة انقلابية تجاه الدولة أو الشعب، سيكون ذلك خداعًا وخيانة للدولة بشكل مباشر.

ويسرد لنا مشـارِكان ممن التقيناهم، آراءهما حول كون الإعدام خطوة رادعة، على الشـكل الآتي:

"يجـب إعـدام جميع هـؤلاء؛ أنت عسـكري، والدولة تسـدّ احتياجاتك كافـة ، ما الذي يجبرك على القيام بانقلاب؟" (إزمير02-، ذكر، 54).

"إن الطـرد مـن المهنـة عقوبـة ثقيلة بما يكفي بالنسـبة لعسـكري، أمـا في الجرائم كخيانة الوطن والاغتصاب فيمكن فرض عقوبة الإعدام، يجب أن يكون هناك رادع" (قسـقلي01-، ذكر، 56).

وقد شوهد قسم كبير بين المطالبين بالإعدام لديهم حالات قلق من عدم التمييز بين المجرمين، وهاجس من "اختلاط الحابل بالنابل". ويتطرق هذا القسم الداعم لفكرة الإعدام إلى وجوب العدالة في المقاضاة.

لذلك شعر المشاركون خلال سرد أجوبتهم بالحاجة إلى بيان طلب تمييز الجنود المأمورين ومقاضاتهم بشكل عادل.

الموقف الآخر الذي التقى عنده المشاركون ضمن إطار المقاضاة العادلة هو القلق من اتهام الأفراد بعضهم بعضًا بالانتماء للمنظمة المذكورة انطلاقًا من الشكوك التي ليس لها أصل، ومن أسباب شخصية، مستغلّين هذه الفترة الحسّاسة، والأجواء غير الآمنة التي تمرّ البلاد منها.

وطلبُ المشاركين من الحكومة عمليةً قانونية ومقاضاة عادلة- كانت من النقاط اللافتة للنظر. ونسرد الآراء المتعلقة بهذا الخصوص على الشكل الآتي:

الانتهاكات التي تسبّبت بها منظمة فتح الله غولن الإرهابية من خلال محاولة انقلاب تموز الانقلابية تنقسم من حيث السياق إلى محورين: يتعلق الأول منهما بمحاولة هدم النظام الدستوري، ويتعلق الثاني بشكل مباشر بانتهاكات حقوق الإنسان من خلال القتلى والجرحى.

"تجب معاقبة القائمين بالانقلاب، والذين أطلقوا النار على الشعب، وألقوا القنابل، بشكل مؤبّد، ويمكن أن تكون عقوبة الإعدام مناسبة لهؤلاء الأشخاص، لكن لا أدري إن كان هذا الأمر ممكنًا من الناحية القانونية، فإن كان غير ممكن، فيجب عندها على ممثلي الحكومة جسّ نبض الشارع في هذا الشأن. يمكن معاقبة أي شخص قدّم الدعم لمنظمة غولن ولو بشكل قليل ضمن إطار قانون مكافحة الإرهاب، ولكن في حال تواجد أناس من عوامّ الشعب ممن تعاطفوا مع منظمة غولن، يمكن معاقبتهم بعقوبات صغيرة، وحرمانهم من بعض الحقوق. كما يجب تحرّي الدقة عند قوانين الندامة، وإلا فالجميع يصبح نادمًا" (أنقرة08-، ذكر، 29).

"الذي يدور في نفسي هو الإعدام، ولكن قد يأتي ذلك بأخطاء أيضًا، ولهذا إذا فُرضت العقوبة المؤبدة يمكن التراجع عن الخطأ في المستقبل، إن اكتُشِف ذلك" (سراج خانة02-، ذكر، 48).

هناك عدد لا بأس به أيضًا ممن يدعمون فكرة الإعدام لكن بشروط مسبقة، ويتصدر هؤلاء مَن يطالبون بإعدام عبدالله أوجلان والمغتصبين في حال تقررت عقوبة الإعدام.

كما أن هناك من يطالب بإعدام مخصوص بهذه الفترة، ويدعم إعادة هذه العقوبة بشرط ألا يكون هناك إعدام من دون مقاضاة.

ويبيّن أن القسم الذي يرفض فكرة الإعدام من المشاركين لديهم دوافع مختلفة.

يمكن تصنيف أصحاب هذه الدوافع إلى أربع مجموعات، هي: مَن يرون أن عقوبة الإعدام غير كافية وغير مقنعة، ومَن يطالب بالمحاكمة وفق قانون المحاكمة الموجودة حاليًا، والذين

يرفضونـه لأسـباب دينية، ومن يرى أن تطبيق هذه العقوبة قـد يؤثر في المفاوضات الجارية مع الاتحاد الأوروبي.

ومـن اللافـت للنظـر أن المعارضـين للإعـدام يكونـون في البدايـة مترددين في قرارهـم، وبعـد الحديث معهم قليلًا يؤكـدون معارضتهم. هذه الحالة تـؤدي إلى ظهور قناعة أن هؤلاء الأشخاص لم يفكّروا بعد بشكل عميق في موضوع المحاكمة الجزائية وعقوبة الإعدام.

أمـا أولئـك الذين يرون أن عقوبة الإعدام غير كافية، فيذكرون أن المجرمين لن يدفعوا أي ثمن بعد إعدامهم، وأن الإعدام طريقة سـهلة بالنسبة لهم، ويقترحون (نفي) هؤلاء. يسرد لنا تاجر من أضنة عمره 52 عامًا آراءه كما يأتي:

"النـاس يطالبـون بالإعدام، برأيي لو تُركَ هـؤلاء خلف الزنزانة ليتحمّلوا الأذى أفضل مـن الإعـدام، لأنـه في حـال إعدامهـم يموتَـون وينجـون بسـهولة... لذلك يجـب عليهم أن يذوقوا الأذى الذي في الداخل، وأن يُحرموا من معاشهم، وتُصادر ممتلكاتهم، فليرَ هؤلاء هذه الأشياء وهم في الداخل، فليبقوا محبوسين مدى العمر، هذا بالنسبة لي أفضل من ألف إعدام!" (أضنة03-، ذكر، 52).

وكان من اللافت للنظر وجود أشخاص يرون في الإعدام تناقضًا مع حقوق الإنسان، وأنه فعل غير إنساني.

"إن الذيـن قامـوا بالمحاولـة الانقلابية إرهابيـون، أفكّر في عائلاتهـم ومحيطهم، ما ذنب أولئـك؟ أنـا أرى عقوبة الإعـدام فعلًا غير إنسـانيٍّ، أفكر بشـكل وجداني بزوجتـه وأولاده" (أنقرة05-، ذكر، 48).

مستقبل تركيا في حال نجاح المحاولة الانقلابية

عقب المحاولة الانقلابية كررت بكثرة الأسئلة حول ماذا يكون لو نجحت هذه الخطوة؟

إن تحليل المختصين في هذا الشأن هو أنه لو نجحت المحاولة الانقلابية لشكّل ذلك فاجعة وكارثة بالنسبة لتركيا، حيث كانت ستعيش خطر حرب أهلية، وانقسامًا داخليًّا، وكان سيُقتل العديد من الناس نتيجة هذا، أو كانوا سيُهاجرون من هذه المناطق. ومن بين التحاليل الواردة أيضًـا عودة زعيـم المنظمة فتح الله غولـن إلى تركيا، وبناء دكتاتوريـة بيروقراطية وفق مفهومه الديني الضالّ. ووفقًا لتحليل آخر، كان أتباع التنظيم سـيقومون ببناء نظام سلطوي-عصري في قسـم معيّن من تركيا بغية التظاهر بمظهر المتودّد للغرب، وسيسـتمرون في الأقسـام المتبقية بالحكم وفق مفهومهم الإداريّ[25].

تطرق المشاركون ضمن نطاق البحث كما هو الحال في المختصين إلى أنه لو نجحت المحاولة الانقلابية لكانت تركيا ستشـبه سـوريا، وسـتندلع الحرب الأهلية، ويحدث الانقسام الداخلي فيها، وأن القوى الخارجية كانت سـتتحول إلى اسـتعمار. وفي هذا الإطار سردنا آراء المشاركين على الشكل الآتي:

"في حال نجاح المحاولة الانقلابية، ما كانت حياتي فقط ستتعرّض للخطر، بل كانت هذه الحادثة ستشكل نهاية الجمهورية التركية، حيث كانت ستنقسم وتتشتت، وكان مستقبل مواطنينا وأولادنا ومستوى أعمالنا وهذه الاستثمارات والرفاهية ستعود إلى ما كانت عليه قبل 40 عامًا. أنا في 47 من عمري، ونحن شهدنا عهودًا كثيرة من الفقر والجوع، لقد ذهبت إلى مصر وتجولت في مناطق كثيرة منها، وبعد 5 سنوات من ذهابي إليها حصل الانقلاب، فجاء السيسي، وهي الآن تراجعت 50 عامًا للوراء. كل ما نحتاج إليه اليوم هو أمام أعيننا، ونحن الشعب ندرك هذا. لو نجحت المحاولة لم نكن لنجد الأمان في منازلنا مطلقًا، ولا ندري إلى أين كنا سنذهب، ربما كانت حرب أهلية ستندلع، وكنا سنتحول إلى وضع أشبه بذلك الذي في سوريا" (يني قابي08-، أنثى، 47).

"لو نجحت المحاولة الانقلابية لتحوّل الوضع هنا إلى ما يشبه في سوريا" (ديار بكر-03، أنثى، 40).

"في حال نجحت المحاولة الانقلابية، ما كان ليبقى شيء اسمه الحياة الشخصية، وكنا سنعيش حربًا أهلية. ولو أنها تحققت لم تكن لتشبه انقلاب عام 1980، على العكس كنا سنشهد حالة أشبه بتلك التي في سوريا وحلب. هذا ما أتخيله الآن" (يني قابي02-، ذكر، 43).

يذكر لنا شاب في يني قابي عمره 29 عامًا، أن فتح الله غولن كان سيعود من الولايات المتحدة إلى تركيا، ويترأس البلد الذي كان سيُحوّل إلى سوريا أخرى:

"لأصبحنا في حالة أسوأ من سوريا. هناك 250 شهيدًا، هذا يعني أنه ربما كان سيموت المئات يوميًّا. وكان الشعب سيتسلح، وسيخرج يوميًّا إلى الساحات، ويواجهون العسكر، وكان الأخير سيطلق عليهم النار، وبالطبع بعد كل هذا كان فتح الله غولن سيعود إلى هنا" (يني قابي06-).

أما بعض المشاركين الذي لفتوا النظر أيضًا إلى إمكانية تحوّل تركيا إلى سوريا أخرى في حال نجحت المحاولة الانقلابية- فيقولون إنه ليس هناك بلد آخر يدعم تركيا، ولذلك لأصبحنا في حالة أسوأ من سوريا. والآراء التي في هذا الشأن هي كالآتي:

"كان من الممكن أن نكون في وضع أسوأ من سوريا في حال تحققت المحاولة الانقلابية. كنت متيقنًا أنه لن يتحقق؛ ولذلك لا أستطيع الآن تخيّل ذلك. كان للسوريين مكان يأوون إليه، أما نحن فليس لدينا أيّ وجهة نذهب إليه" (وان09-، ذكر،58).

وذكر مشاركون آخرون أنه لو نجحت المحاولة الانقلابية لاندلعت حرب أهلية لا نهاية لها بين الانقلابيين وبين معارضيهم، وانقسمت تركيا، ولعجزت عن الخروج من هذه الأزمات؛ نتيجة الحرب الأهلية التي كانت ستشهدها.

ويوضّح لنا صحفي عمره 36 عامًا في مدينة وان، توقعاته في هذا الخصوص بالقول:

"لـو تحقق الانقـلاب لما كنتم تستطيعون الوجود هنـا مثـلًا، ولربـما كانت هـذه الطغمـة العسـكرية قد قتلـت عشريـن ألفًـا من شـعبنا، ولو تحققـت المحاولة الانقلابيـة كان سـيُلقى في السـجن أو يُعـدم جميـع السياسـيين، وكل شـخص له ارتباط بالسياسة، وكان سـيتجمّد الاقتصـاد، وسـتُغتَصَب الحريـات. كانـت تركيا ستُقسّـم من قبل الذين يريدون تقسـيمها. ولربما كان جنوب شرق البلاد سـيُحتل؛ وكنا سنشبه سوريا" (وان 01-).

لـو نجحـت المحاولـة الانقلابية لشكّل ذلك فاجعة وكارثة بالنسبة لتركيـا، حيـث كانـت ستعيش خطر حرب أهلية، وانقسامًا داخليًا، وكان سيُقتل العديد من الناس.

بمثابة الخلاصة: النتائج البارزة التي نجمت عن البحث الميداني

أجرينـا اللقاءات في كلّ من أنقرة، وإسـطنبول، وإزمير، وديار بكـر، وطرابزون، وأضنة، ووان، وسـاقاريا، وأسـكي شهير، أي في تسـع مدن، و12 ميدانًا مختلفًا بين 18 تموز حتى 10 أغسطس.

قابلنا 176 مشـاركًا، وأجرينا معهم مقابلات عميقة وشـبه منظمة. ونِسَـب المشاركين في مظاهرات (صون الديمقراطية) من الذكور والإناث متقاربة.

أغلب المشـاركين في هـذه المظاهرات كانوا قد حـضروا إلى الميادين مـع عائلاتهم. كما كان الناخـب اليمينـي المكوّن من مـوالي حزب العدالـة والتنميـة والقوميين يشـكّلون الأغلبية في الساحات.

وكان الناخـب الكردي المحافظ حاضرًا بكثافة في المظاهرات المناوئة للانقلاب، وشـوهد أنه على الرغم من وجود أشـخاص من مشـارب سياسية واجتماعية مختلفة، إلا أن الشيء الذي كان يحيي شعور الوحدة بينهم هو حب (الوطن).

اتفـق أغلـب المشـاركين أن الفاعل الأول للانقـلاب هو منظمة فتح الله غولـن الإرهابية، وتطرق العديد من الأشخاص بشكل خاص إلى أنهم انتبهوا إلى خطورة هذه المنظمة على البلد بعد فترة 17-25 كانون الأول من عام 2013، إلا أنهم لم يتصوّرا أن تصل خطورتهم إلى هذا الحدّ، إلا بعد المحاولة الانقلابية في 15 تموز.

ووفـق الآراء التـي توصلنا إليهـا بعد عملية البحـث، لاحظنا أن أغلب المشـاركين الذين يرون وجود تعاون بين هذه المنظمة والقوى الخارجية- على قناعة بأن القوة الخارجية هذه هي الولايات المتحدة الأمريكية.

كـما شُـوهد أن دعوة الرئيس أردوغان الشـعب إلى الخروج إلى السـاحات، وقـراءة البيان الانقلابي الأول على القناة التركية الرسـمية، وارتفاع أصـوات الأذان والصلوات من المآذن- كانت مؤثرة وحافزة لخروج الشعب إلى الساحات والشوارع ليلة 15 تموز.

وذكـرت الأغلبيـة العظمـى مـن المشـاركين الذين بلـغ عددهـم 176 شـخصًا، أن إدارة أردوغـان الأزمـة في تلـك الليلة، وشـخصيته القيادية في تلـك الفترة شـكّلتا النقطة الأهم في إحباط المحاولة الانقلابية.

إذ كان نزول أردوغان بطائرته في مطار أتاتورك ليلة المحاولة الانقلابية عنصرًا مهمًّا في رفع الثقـة بالنفس لدى الشـعب، ولوحظ أيضًا أن المشـاركين يتخذون موقفًـا عقلانيًّا تجاه الجيش التركـي، ويميـزون بين عناصره الأصليـة، وبين عناصر منظمـة فتح الله غولـن الإرهابية ممن تورطوا في هذه المحاولة الانقلابية.

كما قدَّر المشـاركون أيضًا مواقـف الأحزاب المعارضة تجاه المحاولـة الانقلابية، وبالدرجة الأولى حزب الحركة القومي، ومن بعده حزب الشعب الجمهوري؛ أما موقف حزب الشعوب الديمقراطي المتأخر، فقد انتقده المشاركون، بمن فيهم موالو الحزب المذكور.

إضافة إلى ذلك وجّهوا انتقاداتهم إلى حزبَي الشـعب الجمهوري والشـعوب الديمقراطي؛ لعدم مشـاركتهما ضمن الفعاليات المناوئة للانقلاب بالدرجة المطلوبة. وعلى الرغم من انتقاد الناخبـين الكـرد عـدم توجيـه دعوة رسـمية إلى حـزب الشـعوب الديمقراطي على المسـتوى المؤسسـاتي لحضـور تجمع ينـي قابي، إلا أنهم ذكـروا أيضًا عدم اجتياز إداريـي الحزب المذكور الامتحان ضمن إطار مناوئة الانقلاب.

يشـيد المشاركون بمشاركة أحزاب المعارضة بتجمع يني قابي، إلا أن هناك قناعة أن أجواء الوحـدة هـذه لن تدوم طويـلًا، إضافة إلى ذلك فـإن الناخب المحافظ يرى أن حزب الشـعب الجمهوري شارك في التجمع المذكور نتيجة ضغوط اجتماعية.

كما يشيد المشاركون أيضًا بأهمية وقيمة التعاون الذي حصل بين السلطة الحاكمة والأحزاب المعارضـة بعـد المحاولة الانقلابيـة، ويؤكدون أن التقارب بين هذين الطرفين سـيكون له دور مؤثر في عرقلة الأزمات المحتملة مستقبلًا.

ورغـم ذلـك فـإن من بين الأسـباب الرئيسـة التـي جمعت الشـعب في مظاهـرات (صون الديمقراطيـة) الشـعور بانعدام الأمن الناجم عـن المحاولة الانقلابية في نفـوس المجتمع، إلا أن أكثـر مـن نصف المشـاركين بيّنوا أنهم يشـعرون بالأمان في تركيـا، وكان للذاكرة المجتمعية السـلبية تجـاه الانقلابات في السياسـة التركية- تأثيرهـا في الموقف الاجتماعي الذي أسـهم في عرقلة حدوث الانقلاب.

لذلك فمن المهمّ في هذا السـياق، التذكير بأن إعدام عدنان مندرس نتيجة انقلاب سـابق، كان يذكِّر بمحاولة فعل الشيء نفسه مع أردوغان. كما كان لتوسّع النخبة الوسطى وزيادة الثقة الاجتماعية والسياسية في تركيا دورًا كبيرًا في إحباط المحاولة الانقلابية.

وإن مواجهة حزب العدالة والتنمية لأزمات عديدة ومكافحته لها طوال فترة حكمه، واجتيازه اختبارات كثيرة- أسهم في تطوير تعلُّمه السياسي وتجربته في حلّ الأزمات، وقد ظهر ذلك بشكل واضح خلال المحاولة الانقلابية في 15 تموز.

كما بدا واضحًا أكثر خلال هذه المحاولة الفاشلة أهمية الموقف الذي اتخذه حزب العدالة والتنمية ضد المذكّرة الإلكترونية في 27 نيسان، ومكافحة أردوغان منظمة فتح الله غولن الإرهابية عقب فترة 17-25 من ديسمبر/ كانون الأول.

لم يجد الانقلابيون المؤسسات التي تقدّم الدعم لهم في تركيا، على عكس ما كان في الماضي، وهذا الأمر متعلّق بشكل مباشر بتعدّدية الإعلام، وتحوّل البيروقراطية، ووجود رأسمال فكري واع ضد الانقلاب.

طالب المشاركون من الإرادة السياسية بمكافحة العناصر التي تورطت في المحاولة الانقلابية بحزم، وبيّنوا وجوب إجراء إعادة تنظيم مؤسسات الدولة، وعلى رأسها الاستخبارات والأمن؛ لتفادي حصول حدث مشابه.

وفيما يخصّ محاكمة الانقلابيين وجدنا أن أكثر من نصف المشاركين يطالب بعقوبة الإعدام، وبيّنت الأغلبية الساحقة من الذين خرجوا إلى الساحات والشوارع ليلة المحاولة الانقلابية أنها ستؤيّد فكرة استصدار عقوبة الإعدام في حال حدث ذلك.

كما ذكر أغلبية المؤيدين لفكرة الإعدام ضرورة أن تشمل هذه العقوبة أيضًا زعيم تنظيم بي كا كا الإرهابي عبدالله أوجلان، في حال تطبيقها. أما بالنسبة لمناوئي عقوبة الإعدام أو المترددين في قرارهم حولها فإن لديهم قلقًا من عدم حماية حق المجرمين في المحاكمة العادلة كما يجب.

ومِن المشاركين مَن كانوا يؤيدون فكرة الإعدام إلا أنهم يرون أن الظروف الحالية غير مواتية لجعل ذلك ممكنًا، ومن ثَمّ كان الخيار الثاني لأمثال هؤلاء فيما يخص محاكمة المجرمين هو السجن المؤبد.

الهوامش والمصادر :

1. يستند هذا العمل الميداني الذي أعددناه مع الزملاء سردار غولانار، وإيبك جوشكون، وهازال دوران، وأركوت أيواز، وسرنجان أرجيس وحسين أوزتورك ونشرناه على شكل كتاب- إلى الأطروحات والنتائج التي توصلنا إليها ميدانيًّا.
2. برهان الدين دوران، ''جماعة غولن وفقدان رموز السنة''، ستار أجيك غوروش، 29 ديسمبر/كانون الأول 2013.
3. ''خطاب فتح الله غولن الداعم لانقلابيي الثاني عشر من سبتمبر/أيلول''، صباح، 10 أيار 2015.
4. يُنظَر، نور الدين وران، التطويق، منشورات سياه بياز، إسطنبول، الطبعة الثانية، 2007.
5. روشان تشاكير ''تلقّى فتح الله غولن الدعم خلال التسعينيات عبر إظهار نفسه بديلًا معتدلًا لحزب الرفاه''.

ميديا سكوب، 26 تموز 2016، http://medyascope.tv/2016/07/26/gulen-yillarda-1990li-kendisini-rpnin-ilimli-alternatifi-gostererek-destek-aldi/، (تاريخ الدخول: 3 آب 2013).
6. ''قال غولن لأربكان: سوف تُشنَق''، صباح، 2 نيسان 2015.
7. لقاء محمد علي بيراند الصحفي مع فتح الله غولن، https://www.youtube.com/watch?v=0V7E5K_yzSY، (تاريخ الدخول: 3 آب 2016
8. ''اقتراح غولن أثار الفوضى لدى الأذهان''، حرييت، 24 كانون الأول 1997.
9. ''المساعد لوند تورك كان يعترف''، حرييت، 22 تموز 2016.
10. ''ضم دعاوى المؤامرة إلى تحقيق انقلاب 15 تموز'' خبر تورك، 28 أيلول 2016.
11. نبي ميش ''تركيا في عام 2014''، منشورات ستا، أنقرة 2015.
12. فخر الدين آلتون، ''الإدارك المتغير لحركة غولن''، منظور صباح، 11 كانون الثاني 2014.
13. صلاح الدين غونداي، ''مذكرة الادعاء الرئيسة للكيان الموازي: غولن يُصوَّر كشبه إله...''، الجزيرة ترك، 19 تموز 2016.
14. '' قبول مذكرة الادعاء بحق منظمة غولن الإرهابية في إزمير''، أكشام، 15 نيسان 2016.
15. قبول مذكرة الادعاء السقفية بحق منظمة غولن الإرهابية''، تي آر تي الإخبارية، 22 تموز 2016
16. مراد يشيل تاش ونجدت أوز تشيليك، ''Turkey'sStilbornJuntaCoupAttempt''، تحليل ستا، العدد: 19، تموز 2016.
17. ''الانقلابيون كانوا سيُعتقلون نهاية الأسبوع''، ميلييت، 19 تموز 2016.
18. ''قبول مشروع تنظيم القضاء العالي في مجلس الأمة التركي الكبير''، خبر تورك، 1 تموز 2016.
19. للتوسع في هذا الموضوع يُنظَر، Bruce L. Berg, QualitativeResearchMethods fort he ''SocialSciences, Fourth Edition, (Boston: Ally& Bacon, 2000).''
20. بعد المحاولة الانقلابية في 17-25 كانون الأول أُقِرَّ إطلاق الكيان الموازي على منظمة غولن الإرهابية في الوثائق الرسمية للدولة.
21. علي بالجي، ''العائق الأساسي أمام نجاح المحاولة الانقلابية هي الذاكرة الاجتماعية''، درين تاريخ، العدد: 53، (آب 2016).
22. نبي ميش، ''دور القيادة الأردوغانية في عرقلة المحاولة الانقلابية'' كريتار، العدد: 4، (آب 2016)، ص 32-33.
23. نبي ميش، ''الشعب أنهى منظمة غولن الإرهابية''، ستار أجيك غوروش، 23 تموز 2016.
24. نبي ميش، ''تركيا في عام 2015''، منشورات ستا، أنقرة 2016.
25. خليل بركتاي، ''ماذا لو نجحت المحاولة الانقلابية في تركيا''، سربستيت، 11 آب 2016.